ISSN 2347-2456 Regd. No. LW-NP/64/2012 To 2014 R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/2341)

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol: 59 Issue:06 January 2014

إصدارات حديثة:

سلسلة أعلام وأقلام
(٧)

المحدث الكبير الداعية الجليل

الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله

حياته وجهوده العلمية والتعريف بأهم مؤلفاته

تأليف

محمد رحمة الله محمد ناظم الندوي

قدم له

سعادة الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي
ومدير دار العلوم - ندوة العلماء - لكهنو

يطلب الكتاب من

دار البشائر الإسلامية

بيروت، لبنان، ص ب ٥٩٥٥-١٤

Ph: 009611702857

DESIGNED BY: HAMID, Mob: 9889654027.Lko

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد ٥٩

العدد السابع – المجلد التاسع والخمسون – ربيع الثاني ١٤٣٥هـ فبراير

● خصائص القرآن الكريم
● طريقان لحياة الإنسان
● العالم الإسلامي عالم الأزمات
● ابن سيرين وتعبير الرؤيا
● اتباع السنة المطهرة هو طريق الولاية الك
● "إلى من يهمه الأمر"
● الحوار وسيلة سعيد النورسي في نشر السلام ا
● علموا نساءكم سورة النور

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص-ب-٩٣، لكناؤ- الهند
Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat,
P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221 E-mail: albaas1955@gmail.com, nadwa@sancharnet.in

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٥٩

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد السابع – المجلد التاسع والخمسون – ربيع الثاني ١٤٣٥هـ فبراير ٢٠١٤م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد ابوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها:

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ - ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,
Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231
Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث سنة: ٣٠٠/٠٠روبية

ثمن النسخة: ٣٠/٠٠روبية

في العالم العربي

وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة

بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:

باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846

(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT
NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

العدد السابع – المجلد التاسع والخمسون – ربيع الثاني ١٤٣٥هـ فبراير ٢٠١٤م

الافتتاحية :		
طريقان لحياة الإنسان	سعيد الأعظمي الندوي	٣
التوجيه الإسلامي :		
خصائص القرآن الكريم	سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي	٨
ابن سيرين وتعبير الرؤيا	الدكتور محمد بن سعد الشويعر	١٦
اتباع السنة المطهرة هو طريق الولاية الكبرى	الإمام الداعية الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة : الدكتور إحسان قاسم الصالحي	٢٠
الدعوة الإسلامية :		
مقال : "إلى من يهمه الأمر"	الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد	٢٥
مجلس مع الإمام الندوي	الدكتور عبد الحكيم الأنيس	٣٠
الحوار وسيلة سعيد النورسي في نشر السلام العالمي	الدكتور أيوب تاج الدين الندوي	٣٣
علموا نساءكم سورة النور	الأخ محمد علي الوافي	٤٠
دراسات وأبحاث :		
شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية	الدكتور غريب جمعة	٥٠
على هامش التفاسير للسيد إسماعيل شهاب الدين	الدكتور عبد الله كويا تنغل	٥٧
دراسة تحليلية نقدية لستة كتب أردية في السيرة النبوية	الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي	٦١
حركة جمع الحديث وتدوينه	الباحث محمود عالم الصديقي	٧١
أثر القرآن الكريم والحديث النبوي في اللغة العربية	الباحث مخلص الرحمن	٨٣
صور وأوضاع :		
العالم الإسلامي عالم الأزمات	الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي	٩٠
من كنوز القرآن الكريم :		
تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي	محمد فرمان الندوي	٩٤
أخبار علمية واجتماعية :		
رابطة الأدب الإسلامي العالمية تعقد ندوتها الـ ٣٣ في أورنغ آباد	قلم التحرير	٩٩
إلى رحمة الله تعالى :		
حرم سعادة الشيخ نذر الحفيظ الندوي الأزهري إلى رحمة الله تعالى	قلم التحرير	١٠٠

الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

طريقان لحياة الإنسان !

حياة الإنسان بكاملها نعمة من الله رب العالمين الذي امتنّ بها على عباده الذين أكرمهم بالعلم وأعزهم بالعقل والفكر السديد ، وألزمهم كلمة التقوى ، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة في وقت واحد ، وحينما أنعم عليه بالقلب الواعي رزقه لساناً ناطقاً وبياناً واضحاً وتعبيراً صادقاً عما يكنّه الضمير ، وجعل كل ذلك ميزة تختص به دون غيره من الخلق ، ﴿**الرَّحْمَنُ ❖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ❖ خَلَقَ الإِنسَانَ ❖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ وركز الله تبارك وتعالى على القراءة والكتابة وعلى أداة العلم في الآيات التي بدأ بها الوحي فقال : ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❖ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ (سورة العلق الآيات/١ – ٥) .

وتلك هي الخصيصة البارزة التي يتميز بها الإنسان ، وهو مع ذلك أحوج شيء إلى منهج للحياة قويم ينظم جميع شئونه على قاعدة صلبة وسليمة من الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه ، وفي آخر المطاف بخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ الذي تحدث عنه الله سبحانه وتعالى في كتابه المكنون ، القرآن الكريم ، فقال : ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾ وقد كان من رحمته تعالى أنه لم يكلف الإنسان إلا وسعه ، فإذا به يمثل الوسطية في الإنسانية التي فضلته على الكائنات كلها من خلال القلب والسمع والبصر ، آليات الحياة للإنسان ، التي تمهد له الطريق نحو الدين والعقيدة وتساعده في بناء العاطفة الصادقة التي لها دور كبير في توجيه الفكر وتأصيله في ضوء العقيدة وتعاليم السماء الأخيرة الدائمة ، وهي التي تؤكد أن الدنيا ليست إلا معبراً ومحطة لقضاء وقت في انتظار موعد المغادرة إلى دار الآخرة التي ينال فيها كل امرئ جزاء ما عمله في الدنيا ، يقول الله تعالى : ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ❖ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ❖ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ**

ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ❖ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ❖ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ (سورة الرعد الآيات/٢٠ – ٢٤) .

هذا جزاء المؤمن المخلص الذي أكرمه الله تعالى بصفات الإيمان والعمل الصالح ، ولكن الإفساد في الأرض جريمة لا تعادلها جريمة ، ذاك أن المفسدين في الأرض ينقضون عهد الله بعد ما أقروا به ، ويقطعون الصلات التي أمر الله سبحانه بوصلها ، بإنشاء جو من الحب والإيمان في المجتمع البشري فلم يعملوا به وأصروا على سوء أعمالهم فلهم سوء الدار ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ (سورة الرعد الآية/٢٥) .

من هنا نستطيع أن نرى البون شاسعاً بين من خضع لأوامر الله وتمسك بالصلاح في القول والعمل ولم يتجاوز الخط الذي قرره الله سبحانه للصالحين ، وبين من هم على العكس من هذه الخلال ، ممن يسعون في الأرض فساداً ويمثلون دور العصاة المجرمين ، فما لأولئك المؤمنين إلا جنات ونعيم ، وأما هولاء فلهم اللعنة وسوء الدار ، وقد تتجلى مصاير الناس وهم في الدنيا ، ويتم ذلك وفقاً لما عاش فيه المرء في دار العمل حسب توجيهات الدين وتعاليم الكتاب والسنة ، أو في المعاصي والتمرد على كل ذلك ، وقد بين الله سبحانه وتعالى كلتا الناحيتين عن طريق الأنبياء والرسل الذين بُعثوا إلى كل أمة من الناس منذ آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ ، فآمن وصدق من آمن وصدق ، وكفر من كتب عليه الكفر والضلال ، يؤكد الله سبحانه هذا المعنى في سورة فاطر من القرآن الكريم وهو يخاطب رسوله العظيم ﷺ :

﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ❖ وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ❖ ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾ (سورة فاطر الآيات/٢٤ – ٢٦) .

ولم يأل دعاة الإسلام وعلماء الدين وقادة الأمة في إبلاغ دعوة

الإسلام وتعليم دين الله تعالى للناس وقيادة العالم البشري ، أي جهد ، بل تحمّلوا في سبيل ذلك كل مشقة وعناء بوجه باسم خضوعاً أمام مسئوليتهم ، ولا يزالون على هذه الحال امتثالاً لأمر الله تعالى ، واستجابة لدعوة النبي ﷺ وتربية البشر على غرارها من غير نقص أو زيادة في ضوء توجيهات الدين وتربية النبي الأمين ﷺ ، وإن الدعوة الإسلامية من فجرها إلى الآن تزخر بالمجهودات الدعوية والفكرية ، وتعددية مناحي الإبلاغ باستخدام الوسائل المستحدثة في هذا الطريق والاستمتاع من الإبداعات المعرفية في إقناع طبقات المدعووين والمعتنقين بالإسلام في العالم الحديث .

وقد ثبت لدى العائشين في المجتمعات الراقية المتطورة ، والباحثين عن هدوء الحياة وطمأنينة القلب ، أن المناهج الوضعية للحياة الإنسانية والحضارات العالمية المادية التي يعتمدها أصحاب الديانات البائدة والدعاة إلى ملاجئ الأنظمة المادية ، قد فشلت في منح الإنسان المعاصر لحظة من الحب والحنان والأمن والسلام حتى في أحضان الأمهات وعطف الوالدين ، وحتى قد حُرم الزوج مودة زوجته ورحمتها في عش الزوجية ، ذلك واقع لا يكاد ينكره من رأى المجتمع الغربي عن كثب وجرب نظام الأسرة فيه ، ولكن الإسلام يعطيه نظاماً يتفق وطبيعة الإنسان في كل زمان ومكان ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ❖ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ (سورة بني إسرائيل الآيتان/٢٣ – ٢٤) .

أما الواقع المادي اليوم فهو يكذب الحقيقة الطبيعية ، فما أن مال الوالدان أو أحدهما إلا ويتسارع الأولاد بإخراجهما من سور المنزل وإدخالهما في سجون دور العجائز (Old Age House) التي تتوافر في الدول المادية الغربية في كل مكان ، حيث يقضيان بقية أيام الحياة بالحرمان من جميع مرافق الحب وعوامل العطف والشفقة ويترقبان ساعة الموت بالصبر على شقاء الحياة ، بالعكس تماماً مما يوجه إليه الدين الإسلامي من أداء حقوقهما بشيئ كثير من الاهتمام وبأداء حقوقهما بجدية واعتناء بالغين وبدعوة من الرحمة والمحبة .

هذا وقد لفت الإسلام إلى علاقة الحب والمودة التي تكون بين

الزوجين لمدى الحياة ، وقد عدها القرآن الكريم من آيات الله تعالى فقال :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم الآية/٢١) .

أما الغرب ومن إليه من الناس فقد حُرم فيه الزوجان لذة الحب والمودة والرحمة ، لا تتقيد الزوجة بعشها الزوجي والعيش فيه ، ولا تذوق لذة الحب والمودة في أيام الزواج المبكرة ولا لذة الرحمة فيما إذا تقدمت سنُّهما أو واحد منهما ، فالمرأة الزوجة حرة منطلقة في كل حال ، تختار لنفسها أخلاء وخليلات ، وتعيش خارج منزل الزوج في الليل أو النهار بدون إذن منه ، وإذا كانت موظفة في إحدى دوائر الحكومة أو الشركة أو المتجر فهي تقضي أوقاتها الفائضة حيثما تشاء وفي أي ناد أو بيت أو فندق ، ولو كان زوجها ينتظرها طول الليل وهي لا تعود إليه إلا بعد مضي الليل واقتراب موعد العمل في الصباح .

ومن خلال هذه الحياة الزوجية المتحررة المنطلقة لا يجني الزوجان إلا بُعداً ومرارة وغيظاً ، وما هي إلا مدة قليلة إذ يسأم الزوج منها ويأس ويطلقها أو هي تطالقه وتذهب مع شخص آخر ، وتمارس ما يهنأ لها من عمل أو طريقة ، وبعد التي تتجرد عن جميع خصائصها النسوية وينذرها الشيب ، وتحال إلى المعاش ، ولا يبقى لها طريق إلا أن تكون عاملة حقيرة في بيت أو متجر ، أو مكنسة ، أو تختار مهنة الكناسين ، وبعد ذلك تجلس على أرصفة الشوارع تمد يدها إلى المارّة وتستجدي منهم ، وهكذا تنتهي حياتها .

هذا المصير المؤلم لم تواجهه المرأة الغربية إلا من أجل أنها تجاوزت خطها النسوي وخرجت من نطاق الأنوثة والحياء وترجلت من غير حق ولا مبرر ، وتلك هي مصيبة المرأة في جميع المجتمعات المادية تعاني منها شقاء الحياة ، وتعاسة المعيشة ، والتنقل من جحيم إلى جحيم أشد منها ، فيا لشقاء الحياة الزوجية في الغرب والشرق لخروجها إلى سوق المناداة التي تباع فيها الأعراض والحرمات بثمن بخس دراهم معدودة ، انظروا كيف يصور القرآن الكريم امرأة أبي لهب ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ❖ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ❖ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ❖ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ❖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ (سورة تبت ، الآيات/١ – ٥) .

ولننظر الآن آداب القرآن الكريم الطبيعية التي يوجهها إلى المرأة المسلمة ، وهي في الواقع أدب كل أنثى من أي جنس أو عنصر كانت ، أو في أي بلدة أو قبيلة تكون والخطاب للنبي ﷺ :

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنْ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة النور الآية/٣١) .

والقرآن الكريم يزخر بتربية النساء على آداب الحياة ومتطلباتها وتربيتهن على خلال الإيمان والعقيدة والدين ، وبذلك يصون المرأة من جميع ما يحارب طبيعة الأنوثة ومن سوء النظر بفرض الحجاب عليها من الأجانب ومنعها عن الخروج من بيتها إلا بضرورة شرعية حتمية ، ويشرك الإسلام المرأة مع الرجل سواءً بسواء في عشر خصال ذات أهمية عند الله تعالى ، وكلاهما متساويان في الأجر والمثوبة ، كما قال تعالى في سورة الأحزاب :

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (سورة الأحزاب الآية/٣٥) .

وسنتحدث بمشيئة الله تعالى في الأعداد القادمة ما قد يتيسر عن المرأة في القرآن الكريم وعن بعض أحوالها وأخبارها .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ (سورة النساء الآية/١) .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٥/٠٢/٠٥هـ – ٢٠١٣/١٢/٠٩م

التوجيه الإسلامي :

خصائص القرآن الكريم

بقلم :سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

القرآن الكريم يحمل أبرز صفات وأرفعها لفظاً ومعناً ، لأنه كلام الله رب العالمين ، العليم والخبير ، فمعاني القرآن في صالح الإنسان ، فلا يكون كلام أرفع شأناً وأكثر نفعاً ، ولا أبلغ وأفصح وأشد تأثيراً من القرآن ، وأنزل القرآن في العرب ، فاختيرت له اللغة العربية ، قال الله تعالى : ﴿تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (سورة حم السجدة الآيات/٢ – ٤) .

قد بلغت اللغة العربية زمن نزول القرآن أعلى قمة للفصاحة والبلاغة ، إن ناطقيها وإن كانوا أميين ، لكن قد كانت لهم عناية بالغة بأداء الكلام على أفصح لسان ، فكانوا مطلعين على جوانب تأثيرها بذكائهم وحسن فهمهم ، وحينما نزل القرآن باللغة العربية استغرب أدباؤها وشعراؤها من أن قد نزل كلام أشد بلاغة من كلامهم ، فاضطروا إلى إظهار عجزهم واستكانتهم ، وكل من سمعه اعترف بفصاحته وبلاغته .

كتاب مبين وهدى للعالمين :

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز الذي هو أعظم وأبلغ كلام ، وهدى للعالمين ما يؤكد الإيمان بخالق الكون ، وخلائقه ، والعمل بأحكامه وشرائعه ، ويبين أخلاق الناس وعواقب الأبرار والأشرار منهم ، وكل ذلك في أسلوب رائع مؤثر ، وبما أن الله خالق الناس ، خلقهم على وجه الأرض لعبادته وتمثيل أرفع وأصلح دور كخليفة الله في الأرض ، وخيَّره لاتخاذ منهج ، ليحقق غاية خلقه ، وجعل له حياة بعد موته ، ليجزى جزاء أعماله في الدنيا ، وينال أكرم جائزة عند الله تعالى ، فأرشد الإنسان بواسطة الأنبياء إلى المعلومات المشتملة على الفرق بين الأعمال الحسنة والأعمال القبيحة ، ومنحه دستوراً للاستقامة على الصراط المستقيم ، وسماه القرآن لتلاوته وقراءته .

عظمة القرآن وقدسيته :

وبما أن القرآن كتاب رب العالمين ، فهو يحمل قدسية موافقة له ، مرتفعة من الخصائص الأرضية ، فلو لم يجعل القرآن موافقاً للأرض ، ونزل في صورته الأصلية ، على قطعة من الأرض ، لا تتحمل الأرض عظمته وقدسيته ، وقد أشار الله تعالى إلى كيفية عظمة القرآن في كتابه ، قال الله تعالى : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ (سورة الحشر الآية/٢١) ، لكن أنزل القرآن لهداية الناس بواسطة الملك المخلوق السماوي على أفضل وأرفع إنسان ، يملك الخصائص العلوية وهو سيدنا محمد ﷺ ، فقال : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۞ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾ (سورة الشعراء الآيات/١٩٣ – ١٩٦) وكان ﷺ يستثقل وقت نزول القرآن ما يرتعد منه رعباً ، ويتصبب عرقاً ، لكن أنزل هداية للناس ، فورد في القرآن : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٧) .

ولفت الله انتباهنا إلى عظمة القرآن وعلو شأنه وارتفاع مرتبته من المراتب الأرضية ، وما له صلة قوية وخاصة بالله عز وجل أنه كلام رب العالمين ، قال الله تعالى : ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ (سورة الواقعة الآيات/٧٩ – ٨١) .

وذكر الله شهر رمضان وخصيصته بأنه يتميز بنزول القرآن فيه ، قال الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٥) ، والليلة التي نزل فيها القرآن ذكرت فضيلتها العظيمة ، بل أنزلت سورة كاملة لبيان الرابطة بينهما ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (سورة القدر الآيات/١ – ٥) .

وجعل الله القرآن ذريعة بيان الحقائق الأرضية لهداية النوع البشري ، قال الله تعالى : ﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة الآيتان/١ – ٢) فتجلى منه أن عظمته وخصائصه سماوية ومفعمة بالنور ، وهي مقدسة وعظيمة ، فإن كان نزوله على الأرض مباشرة ، لا تتحمل ثقله ،

لكن أنزل على الإنسان رحمةً عليه وانتفاعاً به رغم أنه مخلوق أرضي ، كلام حكيم وجليل :

فإن هذا الكتاب قد أنزل الله تعالى رب العالمين من فوق سبع سموات ، لأنه كتاب إلهي ، فإن له طرفين : يرتبط الطرف الأعلى من الله ، والطرف الثاني أنزل لهداية الإنسان إلى الأرض ، وخاصةً جميع المؤمنين الذين يعيشون في هذه الدنيا ، ففي جانب يتصل برب العالمين ، وفي جانب آخر جعل نافعاً للخلق الذي يحمل وظائف سماوية ، وقد جعل الله كتابه السماوي ومعانيه العظيمة هادياً للخلق الأرضي (الإنسان) في لغة جميلة عذبة .

أما معاني القرآن ومفاهيمه فإنها تتعلق بما يجب معرفته لهداية الإنسان ، وتشرح للناس عظمة رب العالمين وآلائه ، أضف إلى ذلك فصاحته وحسن أدائه ، اللذين يسهل بهما فهم هذه المعاني والعمل بها ، نظراً إلى فهم الإنسان قدمها الله تعالى في قالب الكلمات الإنسانية ، ليفهمها الإنسان ، ويتأثر بها قلبه وعقله بعد سماعه فوراً ، وقد وقع مراراً زمن نزول القرآن أن كل من سمعه من مناوئي الإسلام أولع به ، وآمن به قائلاً أن هذا الكلام العظيم المؤثر كلام رب العالمين ، ليس في وسع إنسان أن يصوغ مثله ، فتحدى القرآن نفسه بقوله : ﴿إِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ فكان هذا القرآن أثقل على الأرض وأحمل للقدسية السماوية وأنفع لأشرف الخلائق ، المتصف بالخصائص الأرضية ، وجعل أسهل كلام لنقل المعاني العالية في قلوب الناس ، وأكثر تأثيراً في النفوس ، فاتصف بلسان عربي مبين ، وقال : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (سورة القمر الآية/١٧) .

اختار القرآن أسلوباً موافقاً لنفسية المخاطبين وعقولهم لبيان الحق ، كما جاء في الرعد : ﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ۞ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ

مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۞ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۞ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۞ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۞ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ۞ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۞ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۞ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ۞ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۞ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ۞ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا

الألْبَابِ ❖ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ❖ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ❖ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ❖ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ❖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ❖ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ❖ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ❖ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ❖ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ❖ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ❖ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (سورة الرعد الآيات/١ – ٣٠).

كلام معجز رباني :

أنزل القرآن منجماً بالوحي على سيدنا محمد ﷺ في ٢٣/عاماً ، وروعي في إنزاله المناسبات والأمكنة ليدركه الناس إدراكاً تاماً حسب الحاجة والواقع ، وكان غرضه الأساسي هداية الناس وتوجيههم إلى الصراط المستقيم ، غير أنه كلام الله مباشرة ، فيحمل قدسية عظيمة ، وكانت تلاوته عبادة ، وله مكانة عالية من مكانة الناس ، رغم أنه موافق لفهم الناس ، وبهذا الذوق الإنساني كانت فيه مراعاة أصناف الكلام ، فيوجد تنوع في أساليب الكلام ، وإن ما يكون من مناهج مختلفة لتأثير الشعر بالإضافة إلى خصائص النثر يتجلى فيه جمالي كلتا الناحيتين ، فكان أسلوب القرآن يتميز بالحلاوة الأدبية أيضاً ، وإذا حاول رجل في كتابة النثر عجز عن تقديم كلام أو مفاهيم مثله ، لأن العاقل اللبيب من أهل العرب وإن كان يدرك معناه ، وإن كانت الألفاظ مفهومة لديه ، ليس في وسعه أن يصوغ كلاماً مثله ، وكل كلام كان خارجاً عن نطاق رجل ،

وأنزل من الله موافقاً لطبائع الناس يعرف بالمعجزة ، فالقرآن معجزة بصفاته العالية المتنوعة ، والمعجزة لغةً هو الأمر الذي كان موافقاً لمشاهدة الناس وإدراكهم ، لكن كان خارجاً من وسعه ، ويصعب على الإنسان محاكاته

فإن العرب الذين كانت لهم براعة تامة في العربية ، ويمتلكون ناصية البيان لم يستطيعوا محاكاة فصاحته وأسلوب بيانه ، وقد تحدى القرآن مراراً وتكراراً أنكم إذا كنتم في شك من الكلام الإلهي فأتوا بمثل هذا القرآن ، لكنهم لم يتمكنوا منه ، وبالعكس من ذلك أنهم إذا سمعوا القرآن نظراً إلى براعتهم اللغوية ومعرفتهم القوية للألفاظ والعبارات ، اضطروا إلى أن يعترفوا بكلامه الإلهي ، ثم يستوحوا الهداية بالعمل به ، نجد لذلك أمثلة كثيرة في العرب الأولين ، الذين استسلموا أمام بلاغة القرآن ، رغم أنهم يملكون زمام العربية ، والذين لا يؤمنون بالقرآن حينما يتلى عليهم القرآن يجعلون أصابعهم في آذانهم ، ولا يصغون إليه أبداً ، لأنهم عرفوا كل المعرفة أن القرآن الكريم يؤثر تأثيراً كثيراً فورسماعه ، فكيف يمكن الإنسان أن يغلق أذنه وقلبه ، وكيف يكون بعيداً من الانقياد له والتسليم به .

إذا ساد الظلام الحياة الإنسانية ، جراء عبادة النفس وحب الدنيا ، وكانت ظواهر الحق والصدق غارقة في الظلمات تجلت الحقائق باستضاءة نور القرآن ، وكذلك فإن النوع البشري الذي جعل أعلى وأشرف المخلوقات الدنيوية قدم أمامه أن يحرز هذا المنصب الجليل ، ويختار ما أودع فيه من كلمات العقل والحكمة ، وبناء على هذه الكلمات سمي القرآن بكلمة : "الحكيم" أيضاً .

وهناك كلمات معجزة أخرى في هذا الكلام المتميز بالصفات والمحاسن الإلهية ، ورد ذكرها في القرآن الكريم في مواضع شتى ، وكل ذلك جزء من علم الله الواسع الذي يحيط بقدرة الله الدائمة الأبدية وغيرها من الأشياء ، وقد مُنِحَ الإنسان لهداية الناس حسب الحاجة ، وهو يحمل قوة لا تعادلها قوة الأشياء الأرضية مثل الجبال ، وحتى الإنسان الذي صنع من طين ، لا يتحملها ، قال الله تعالى : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الحشر الآية/٢١) فحينما جعل الله هذا الإنسان خليفة ، وهب بعضاً منهم قوة زائدة ، ينوء بهذا العمل العظيم بواسطة ، وإلا كادت تهلك الإنسان ، فضلاً من أن تتصدع الجبال وتحرق .

وكذلك فُضل الإنسان على المخلوقات الأخرى ، وكُلّف أن يشكر الله على هذه النعمة وغيرها ، لا يمكن أن يؤديه غيره من المخلوقات ، وهذه خصيصة لا يستطيع الإنسان أن يشكر الله حق شكره ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين الآية/٤) .

كلام مؤثر بليغ :

قد أودع الله في كلامه ما يستفيد منه الإنسان في جوانب مختلفة لحياته ، وتوجد فيه توجيهات للحياة الإنسانية ، وحقائق عن الخير والشر ، لا يتأثر الإنسان بها فقط ، بل يولع بفضل القدرة الإلهية ، ويستسلم لعظمته ، هذا ما يتعلق بمعانيه ومفاهيمه ، أما صورته اللفظية وجانبه الظاهري فإن جوانبه المنوعة من حسن البيان وتفهيم المعاني التي تحمل قوة وتأثيراً للعقل الإنساني لا تزال تنكشف أمام البلغاء والفصحاء من اللغة العربية ، وتستمر هذه السلسلة منذ ١٤/قرنا ، وتكون دليلا على نزول هذا الكلام من الله عز وجل كمعجزة إلهية .

إن القرآن يعرِّف نفسه في كلمات وجيزة ، حيث يقول في بداية سورة البقرة ، قال تعالى : ﴿الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (سورة البقرة الآيات/١ – ٣) .

صفة الإقناع في القرآن :

القرآن الكريم صحيفة ربانية خالدة إلى يوم القيامة ، قد وجدت فيه خصائص الإعجاز والإقناع ، والأسلوب المؤثر على أتم صورة ، فأثر القرآن في القلوب أيما تأثير ، وأزال منها الشكوك والشبهات ، وطمأن العقول ، وحث الناس على اتباع الحق ، والعمل بتعاليم الإسلام بطواعية نفس ، لا يوجد في التاريخ الإنساني كله كلام أشد تأثيراً وبلاغة مثل القرآن ، هناك خصائص التأثير الباهر للقرآن الكريم .

١- الانسجام الفطري للقرآن من العقل الإنساني والفكر والشعور .

٢- منهج الاستدلال الشافي ، والدلائل الواضحة الساطعة .

٣- مراعاة كاملة للنفس الإنسانية في العقيدة والسلوك ، وتفسير الإنسان تفسيراً صادقاً مناسباً .

٤- توفية المقتضيات الإنسانية في حدود الفطرة السليمة .

إن البلاغة القرآنية هي سر الإعجاز القرآني ، وسبب إيصال الرسالة والإقناع ، وبهذا تتحقق شروط الإقناع والإمتاع ، فالقرآن الكريم يحيط بجميع جوانب النفس الإنسانية من بلاغته القرآنية ، وتتجلى من كل آية للقرآن ، بل من كل كلمة بلاغته العالية ، فيخاطب القرآن القلب الإنساني وشعوره ، ويؤثر من أسلوبه الساحر الخلاب ، فيحرك جميع أوتار النفس الإنسانية ، ويبعث فيها النشاط والروح ، فلا يعطل جانباً منه ، ولا يعرض عنه ، ولا يكتفي بمجرد الدلائل العقلية لطمأنة النفس الإنسانية ، ولا يعتمد على الأسباب المؤثرة في المشاعر والأحاسيس ، كما يباشره الإنسان ، بل يختار القرآن منهجاً ، مراعاةً للمواهب الإنسانية ، ليبعث الطمأنينة في رجال مختلفي الطبيعة والفكر ، إن أكبر جوانب الإعجاز البياني للقرآن منهجه العام والمؤثر ، فلا يلاحظ طبائع رجال مختلفي الفكر والمذاهب والأمزجة إلا من كان مطلعاً على النفس الإنسانية وأسرار قلوبها اطلاعاً كاملاً .

فكما أن القرآن الكريم يحمل مواهب طمأنة الناس كذلك توجد فيه جميع عناصر البيان والبلاغة وحسن التعبير على أحسن شكل ، وأتم صورة ، وهذه هي عناصر البيان والبلاغة التي تجعل سيطرته على العقل والقلب والفكر والشعور معاً ، وتتجلى هذه العناصر في دقة وصحة مفاهيمه ، وحسن أدائها وبراعة تعبيرها وموسيقاها المنقطع النظير ، فلا يوجد في أي كلام أو كتاب سواه ، وليس له مثيل في هذا الباب (١) .

(١) أساليب الإقناع في القرآن الكريم للدكتور عيسى بن طاهر ص/٢٦١ – ٢٦٢ .

۞۞۞۞

ابن سيرين وتعبير الرؤيا

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر *

إذا كان يوسف عليه السلام ، قد خصه الله سبحانه بتعبير الأحلام ، كما جاء خبر ذلك ، في سورة يوسف ، فإن الله يخص بعض عباده ، بفطنة و ذكاء ، في كل وقت وزمان ، بل في كل مجتمع ، ويأتي تعبير الرؤيا ، كفلق الصبح ، وهي خصوصية ، يحث الإسلام على احترامها وعدم التسرع فيها ، كما نلمس اليوم من أناس يعجلون في التعبير ، ويجازفون في إصدار الأحكام .

مع أنه رؤي ممن يعبرون الأحلام ، بأن للرؤيا خصائص ، منها : أن يكون الرائي : صحيحاً ولا مرض به ، فصلى العشاء في جماعة ، ونام على وضوء ، وذكر الله وقرأ آية الكرسي عند نومه ، وأن يكون الوقت بين شدة الحر ، وشدة البرد ، وأن يكون في وقت جني الثمار .

أما رسول الله ﷺ ، فقد أخبر أن الرؤيا على جناح أو رجل طائر ، ومن رأى رؤيا في منامه فليذكر الله ثم لينقلب على جنبه الآخر ، ويذكر الله ، ويستعيذ بالله من شرها ، ويسأله خيرها ، ولا يخبر أحداً ، فإنها لا تضره ، وأن الرؤيا غير الحلم .

ومحمد بن سيرين ، هو مولى أنس بن مالك رضي الله عنه ، كان أبوه سيرين من سبي عين التمر ، أسره – كما قال ابن كثير – خالد بن الوليد ، في جملة السبي ، فاشتراه أنس ثم كاتبه ، وقد ولد له من الأخيار جماعة ، منهم محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبد ويحيى ، وحفصة وكريمة كلهم تابعيون ثقاة أجلاء ، رحمهم الله .

قال البخاري : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه ، وتوفي عام ١١٠هـ ، وصفه هشام بن حسان : بأنه أصدق من أدرك من البشر ، فكان إذا ذكر عنده رجل بسوء ، ذكره بأحسن ما يعلم ، وقد وهبه الله بصفات عديدة : من السمت والخشوع والهدي فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله ، وكان يدخل السوق نصف النهار ، فيكبر الله ويسبحه ويذكره ، ويقول : إنها ساعة غفلة الناس ، وفي هذا يقول : إذا أراد الله

* رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – (المملكة العربية السعودية) .

بعبده خيراً جعل له واعظاً ، من قبله يأمره وينهاه ، كما أنه يرى من ظلم الإنسان أخيه ، أن يذكر عنده ، بأسوأ ما يعلم منه ، ويكتم خيره .

و يعد محمد بن سيرين من الزاهدين الورعين ، حيث يرى العزلة عن الناس عبادة ، حتى إنه إذا ذكر الموت ، مات منه كل عضو على حدته ، وفي رواية : كان يتغير لونه ، وينكر حاله ، حتى كأنه ليس بالذي كان .

وقد أعطاه الله فراسة عجيبة في تعبير الرؤيا ، حيث كان يضرب المثل به ، في هذا ... من حيث قوة الإصابة ، وتمكين القدرة ، ليأتي جوابه : كفلق الصبح ، وإذا سأله شخص عن رؤيا ، يقول له : اتق الله في اليقظة ، ولا يضرك ما رأيت في المنام .

وفي هذا الموقف ، سأنقل للقارئ الكريم ، بعضاً من تعبيراته للرؤيا ، التي عرضت عليه ، حسبما ذكر ابن كثير رحمه الله ، في تاريخه ، ليقف القارئ على الموهبة ، التي منح الله لمحمد بن سيرين في هذا المجال ، كما أنه قد ألف كتاباً صغير الحجم ، عن آراء ابن سيرين في الأحلام وتعبيره لها ، ومن ذلك :

– أن رجلاً قال له يوماً : رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون ، فقال له : فتش على امرأتك ، فإنها أمك ، ففتش .. فإذا هي أمه ، وذلك أن الرجل ، أخذ من بلاده سبياً وهو صغير ، ثم مكث في بلاد المسلمين ، إلى أن كبر ، ثم سبيت أمه ، فاشتراها جاهلاً أنها أمه ، فلما رأى هذه الرؤيا ، وذكرها لابن سيرين ، فأمره أن يفتش في ذلك الأمر ، ففتش ، وبان له حقيقة الأمر ، حيث وجد الأمر على ما ذكره ، بأن زوجته ، هي أمه ، وظهر التعارف بينهما .

– وقال له آخر : رأيت كأني دُست بقدمي أو قال : وطئت ثمرة ، فخرجت منها فأرة ، فقال له : تتزوج امرأة ، أو قال : تطأ امرأة صالحة ، تلد بنتاً فاسقة ، فكان كما قال .

وقال له رجل آخر : رأيت كأن على سطح بيتي حبات شعير ، فجاء ديك فلقطها ، فقال له : إن سرق لك شيئ فأتني ، فوضعوا بساطاً على سطحهم فسرق فجاء إليه وأخبره ، فقال : اذهب إلى مؤذن محلتك فخذه منه ، فجاء إلى المؤذن فأخذ البساط منه .. وجاء إليه رجل فقال له : رأيت الحمام تلقط الياسمين ، فقال له : مات علماء البصرة .

وأتاه رجل فقال : رأيت رجلاً عرياناً ، واقفاً على مزبلة ، وبيده طنبور يضرب به ، فقال له ابن سيرين : لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا ، إلا

للحسن البصري ، وهو والله الذي رأيت ، فقال السائل : نعم ، قال لأن المزبلة الدنيا ، وقد جعلها تحت قدميه ، أما عريه فتجرده عنها ، والطنبور الذي يضرب به : هي المواعظ التي تقرع بها آذان الناس ، وجاء إليه رجل ، فقال : يا ابن سيرين ، رأيت كأني أستاك ، والدم يسيل من فمي ، فقال له : أنت رجل تقع في أعراض الناس ، وتأكل من لحومهم .

وقال له آخر : رأيت كأن لحيتي ، قد طالت ، حتى جزرتها ، ونسجتها كساء وبعته في السوق ، فقال له : اتق الله فإنك شاهد زور .

– وجاءه يوماً رجل ، فقال : يا ابن سيرين ! لقد رأيت كأني أرى اللؤلؤ في الحمأة ، (الحماة الطين الأسود المنتن) ، فقال له : أنت رجل تضع القرآن ، والعلم عند غير أهله ، ومن لا ينتفع به .

وجاءته امرأة ، فقالت : رأيت كأن سنوراً – وهو من أسماء القط ، أدخل رأسه في بطن زوجي ، فأخذ منه قطعته ، فقال له محمد بن سيرين : رحمه الله سرق لزوجك ثلاثمأته درهم ، وستة عشر درهماً ، ؟ فقالت : صدقت ، فمن أين أخذته ؟ ، قال : من هجاء حروفه ، وهي حساب الجمل : فالسين ستون ، والنون خمسون ، والواو ستة ، والراء مائتان – والجمل هو المعروف عند العامة في نجد بحساب الريحاني أو حساب الأرقام – ثم قال لها : وذلك مجموعة ثلثمائة وسته عشر (٣١٦) ، ثم قال لها : ما لون السنور ؟ قالت : أسود ، قال السارق : عبد في جواركم ، فألزموا العبد الأسود ، الذي كان في جوارهم ، وضرب حتى أقر بالمال المذكور .

ولكل موقف عند ابن سيرين رحمه الله ، تعبير ، ولكل فصل من فصول السنة قرينة ، فقد قال له رجل : رأيت لحيتي قد طالت ، وأنا أنظر إليها ، فقال له : أمؤذن أنت ؟ قال : نعم ، فقال له : اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران ، عند ما تصعد للأذان (البداية والنهاية لابن كثير ٩ : ٢٧٤) .

صدق وهو كذوب :

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ ، استعمله حارساً على الصدقة ، وكانت الصدقة ، ذلك الوقت عند ما تجبأ ، تجمع في المسجد ، وفي الليل كان أبو هريرة ، حارساً أميناً يقظاً ، مهتماً بما وكله إليه رسول الله ﷺ ، فجاءه في إحدى الليالي ، شخص صار يحثو من هذه الثمار ، فأمسكه أبو هريرة رضي الله عنه ، وقال له : لأبلغ رسول الله ﷺ عنك ، فقال : دعني ، فإني محتاج وفقير وذو عيال ، ولن أعود ؟

فتركه أبو هريرة رضي الله عنه ، ولما قال من حاجته وفقره ، وعياله الذين قد يكونون جياعاً ، ولو عده بأنه لن يعود ، وصدقه .. ولما أصبح سأله رسول الله ﷺ ، بقوله الكريم : "يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة" ؟

فأخبر رسول الله ﷺ ، بما قال : وأنه رحمه وعطف على عياله ، وأنه لن يعود ، فقال له رسول الله ﷺ : "أما إنه سيعود" .

وفي الليلة الثانية ترصد له أبو هريرة ، فلما جاء وبدأ يحثو من هذا الطعام ، أمسكه وقال له : أما إني سأبلغ عنك رسول الله ﷺ ، فقد وعدت ، بأنك لن تعود ، وها أنت قد عدت ، فقال مثل مقالته السابقة في الليلة قبلها ، وأنه لن يعود .. وبعد ما أصبح ، سأله رسول الله ﷺ : "ما فعل أسيرك البارحة يا أبا هريرة" ؟ فأخبره بما قال ، وأنني رحمته فخليت سبيله ، ووعد ألا يعود ، فأجابه ﷺ بقوله الكريم : "أما إنه سيعود" وفي الليلة الثالثة ترصد له فجاء في موعده" ، وعمل كما عمل في الليلتين السابقتين ، فأمسكه أبو هريرة ، قائلاً : هذه المرة الثالثة التي تعد وتخلف ، أنك لن تعود ، وتعود .. فقال له : يا أبا هريرة : دعني وأعلمك بكلمات تنفعك ، ولا يقربك شيطان ، ويكون عليك من الله حارس ، إذا قلتها "في الصباح حتى تمسي ، وإذا قلتها في المساء حتى تصبح ؟ قال أبو هريرة : نعم ، فقال : آية الكرسي : ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٥٥) فقرأ الآية كلها فأخبر بذلك رسول الله في الصباح ، فقال ﷺ : "صدقك وهو كذوب ، أتدري من تخاطب منذ ثلاث ليال : إنه شيطان ، وفي رواية إنه إبليس" وجاء عند بعض العلماء حكاية مماثلة مضمونها أن رجلاً ذهب مبكراً لصلاة الفجر ، وفي الطريق وقع في ماء خارج من أحد البيوت ، فتخوف من النجاسة ، فرجع إلى بيته ، واغتسل وغير ثيابه ، ثم أعاد الوضوء ، وذهب للمسجد ، فوقع مرة ثانية ، فعاد إلى بيته وعمل مثل ما عمل في الأولى .. وفي الطريق إلى المسجد حصل له مثل ما حصل في المرتين السابقتين ، وعمل مثل ما عمل فيهما .

وذهب إلى المسجد ، وفي الطريق لقي شخصاً ، ومعه فانوس يضيئ له الطريق ، فقال : من أنت أيها الرجل الذي أضأت الطريق ؟ قال : أنا إبليس ، بعد ما توضأت الأولى غفر لك جميع ذنوبه ، وفي الثانية غفر لك ولأهل بيتك ، وجئت إليك لأساعدك مخافة أن يُغفر لأهل البلد كلهم .

❖❖❖

اتباع السنة المطهرة هو طريق الولاية الكبرى

بقلم : الإمام الداعية الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي
ترجمة : الدكتور إحسان قاسم الصالحي

النقطة الأولى :

إنَّ اتّباع السنة النبوية المطهرة هو أجملُ وألمعُ طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع الطرق ، بل أقومُها وأغناها. والاتّباع يعني : تحري المسلم السنة السنية وتقليدَها في جميع تصرفاته وأعماله ، والاستهداء بالأحكام الشرعية في جميع معاملاته وأفعاله. فإن أعماله اليومية ومعاملاته العرفية وتصرفاته الفطرية الاعتيادية تأخذ بهذا الاتّباع شكلَ العبادة ، فضلا عن أن اتباع السنة وتحري شرعَ الله في شؤون المؤمن جميعها يجعله في صحوة دائمة ، وتذكّر للشرع مستمر ، وتذكّر الشرع هذا يؤدي إلى ذكر صاحب الشرع الذي يؤدي إلى تذكّر الله سبحانه ، وذكرُ الله سببٌ لسكينة القلب واطمئنانه. أي أنَّ ساعات العمر ودقائقه يمكن أنْ تنقضي كلها في عبادة دائمة مطمئنة .

لذلك فإن اتّباع السنة المطهرة هو طريق الولاية الكبرى ، وهو طريق ورثة النبوة من الصحابة الكرام والسلف الصالح .

النقطة الثانية :

الإخلاص هو أهم أساس لجميع طرق الولاية وسبل الطريقة ، ذلك لأن الإخلاص هو الطريق الوحيد للخلاص من الشرك الخفي ، فمن لم يحمل إخلاصاً في ثنايا قلبه فلا يستطيع أن يتجول في تلك الطرق ، كما أنَّ «المحبة» تشكل أمضى قوة في تلك الطرق .

نعم ، المحبة ! فالمحب لا يبحث عن نقص ، بل لا يرغب في أن يرى نقصاً في محبوبه ، بل يرى أضعفَ الدلائل والأمارات على كمال محبوبه من أقوى الأدلة والحجج ، لكونه جانبَ محبوبه على الدوام .

وبناءً على هذا السر ، فإن الذين يتوجهون بقلوبهم إلى معرفة الله

عن طريق المحبة ، لا يصغون إلى الاعتراضات ويجاوزون سريعاً العقبات والشبهات ، وينقذون أنفسَهم بسهولة ويحصّنونها من الظنون والأوهام ، حتى لو اجتمع عليهم آلافُ شياطين الأرض ، فلن يستطيعوا أن يزيلوا أمارةً أو علامة واحدة تدل على كمال محبوبه الحقيقي وسموّه. ومن دون هذه المحبة يتلوى الإنسانُ تحت وساوس نفسه وشيطانه ، وينهار أمام ما تنفثه الشياطينُ من اعتراضات وشُبَهٍ. ولَمَا عَصَمَهُ شيءٌ سوى متانةِ إيمانه وقوته ، وشدة انتباهه وحذره .

إذن فالمحبةُ النابعة من معرفة الله هي جوهر جميع مراتب الولاية وإكسيرها إلاّ أن هناك ورطةً كبيرةً للمحبة وهي :

أنه يُخشى أنْ ينقلب المحبُّ من التضرع والتذلل لله – اللذين هما سر العبودية – إلى الإدلال والطلب والدعاوى ، فيطيش صوابُه ويتحرك مختالاً بمحبته دون ضوابط أو موازين ، ويُخشى كذلك أن تتحول المحبةُ لديه من «المعنى الحرفي» إلى «المعنى الإسمي» (١) أثناء توجهه بالمحبة إلى ما سوى الله ، فتنقلب عندئذٍ من دواء شافٍ إلى سم زعاف ، إذ يحدث أحياناً أن المحب يتوجه إلى صفات المحبوب – من دون الله – وإلى كماله الشخصي وجماله الذاتي ، أي يكون الحب بمعناه الاسمي – لذاته – أي يستطيع أن يحبه أيضاً من دون تذكّر الله ورسوله! مع أن الواجب عليه عند التوجه بالحب لما سوى الله أن يكون هذا الحبُّ في الله ولله ، فيربط قلبَه به من حيث كونه مرآة لتجلي أسمائه الحسنى .

إن مثل هذا الحب بالمعنى الاسمي لا يكون وسيلةً لحب الله ، بل ستاراً من دونه ، بينما الحب بالمعنى الحرفي أي بسبب من حب الله ، فإنه يكون وسيلة إلى زيادة حب الله ، بل يصح القول أنه تجل من تجلياته سبحانه .

(١) فالحرف يعرف في النحو بأنه ما دل على معنى في غيره ، أما الاسم فيعرف بأنه ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمان ، والمقصود أن النظرة القرآنية إلى الموجودات تجعلها بمثابة حروف تدل على معان في غيرها ، فهي تعبر عن معاني تجليات الأسماء الحسنى والصفات الجليلة للخالق العظيم سبحانه ، فكأنها مكتوبات ربانية تاليات للأسماء الحسنى .

النقطة الثالثة :

إنَّ الدنيا هي دار العمل ودار الحكمة ، وليست داراً للمكافأة والجزاء. فجزاءُ الأعمال والبر الذي يحصل هنا يكون في الحياة البرزخية والدار الآخرة ، فتؤتي هناك أُكلها وثمراتها. فما دامت الحقيقة هكذا يجب عدم المطالبة بثمرات الأعمال الأخروية وجزائها في هذه الدنيا ، ولو أعطيتْ يجب أخذُها وقبولها من يد الرب سبحانه بفرح مشوبٍ بالحزن ، وسرور ممزوج بالأسى ، وليس بفرح وسرور خالصين ، ذلك لأنه ليس من الحكمة تناول ثمرات الأعمال – التي لن تنفد عند تناولها في الجنة – في مثل هذه الحياة الفانية ، إذ يشبه ذلك العزوف عن مصباح خالد النور والإضاءة ، والتعلق بمصباح لا يتوهج نوره إلاّ دقيقة ثم ينطفئ !

وبناءً على هذا السر الدقيق – أي انتظار الأجر في الحياة الآخرة – فإن الأولياء يستعذبون مشاقَّ الأعمال ومصاعبَها والمصائب والبلايا ، فلا يشكون ولا يتذمرون ، بل لسانُهم دائماً وأبداً يردد : «الحمد لله على كل حال». وإذا وهب الله لهم كرامةً أو كشفاً أو نوراً أو ذوقاً فإنهم يتناولونه بأدبٍ جَمّ ويعدّونه التفاتاً وتكرّماً منه سبحانه إليهم ، فيحاولون ستر الكرامة وإخفاءها ولا يظهرونها ولا يفاخرون بها ، بل يسارعون إلى زيادة شكرهم وتعميق عبوديتهم ، وكثيرون منهم يجأرون إلى الله أن يحجبَ هذه الأحوال عنهم ويحجبَهم عنها ويتمنَّون ذهابها واختفاءها خوفاً من أن يتعرض الإخلاصُ في عملهم للخلل .

حقاً إن أفضل نعمة إلهية يمكن أن ينالَها شخصٌ مقبول عند الله هي التي توهَب له من دون أن يشعر بها ، لكي لا يتحول من حال التضرع والدعاء إلى حال الإدلال بعباداته وطلب الأجر عليها ، ولئلا يتحول من موقع الشكر والحمد إلى موقع الدلّ والفخر .

فاستناداً إلى هذه الحقيقة فإن الذين يرغبون في سلوك طريق الولاية والطريقة إنْ كانوا يرغبون في تناول بعض الثمرات الجانبية للولاية ، أمثال اللذات المعنوية أو الكرامات ، ويتوجهون إليها ويطلبونها ويلتذون بها فإن هذا يعني رغبتهم في تناول تلك الثمرات في هذه الحياة الفانية ، وهي – إذا

حصلت لهم – ثمراتٌ فانية على أي حال كان ، وبذلك يفقدون الإخلاص في أعمالهم الذي به ينالون ثمرة الولاية ، كما أنهم يمهّدون السبيل لفقدان الولاية نفسها .

الطريقة والشريعة :

النكتة الأولى : إن الشريعة هي نتيجة الخطاب الإلهي الصادر مباشرة – دون حاجز أو ستار – من الربوبية المطلقة المتفردة بالأحدية .

لذا فإن أعلى مراتب الطريقة وأسمى درجات الحقيقة لا يعدوان كونهما أجزاء من كلّية الشريعة. أما نتائجُهما وما يؤولان إليه فهي الأوامر الشرعية المُحكمة ، فهما دائماً وأبداً يظلان بحكم الخادم للشريعة ووسيلة إليها ومقدمة لها .

فالسالك في الطريقة يرتفع تدريجياً إلى أعلى المراتب التي ينال فيها ما في الشريعة نفسها من معنى الحقيقة وسر الطريقة. وعندئذ تكون الطريقة والحقيقة أجزاءَ الشريعة الكبرى ، لذا فليس صحيحاً ما يتصوره قسمٌ من المتصوفة من أن الشريعة قشرٌ ظاهري ، وحقيقتُها هي لبُها ونتيجتها وغايتها .

نعم ، يتنوع انكشاف الأحكام الشرعية ويختلف بالنسبة لمستويات الناس وفهمهم وطبقات مداركهم ، فما يظهر منها وينكشف للعوام هو غيرُ ما يظهر وينكشف للخواص .

إنه من الخطأ توهم ما يظهر من الشريعة للعوام هو حقيقة الشريعة ، وإطلاق اسم «الحقيقة» و «الطريقة» على مرتبة الشريعة المنكشفة للخواص .

فالشريعة لها مراتب متوجهة إلى جميع طبقات البشر .

وبناء على هذا السر ، فإن أهل الطريقة ، وأصحاب الحقيقة كلما تقدموا في مسلكهم وارتقوا في معارجهم ، وجدوا أنفسهم منجذبين أكثر إلى الحقائق الشرعية ، متبعين لها ، مندرجين ضمن غاياتها ومقاصدها، حتى إنهم يتخذون أبسط أنواع السنة النبوية الشريفة كأعظم مقصد وغاية ، ويسعون إلى اتّباعها وتقليدها .

لأنه بمقدار سمو الوحي وعلوّه على الإلهام (٢) ، فالآداب الشرعية

التي هي ثمرة الوحي هي أسمى وأعلى من آداب الطريقة التي هي ثمرة الإلهام ، لذا فإن أهم أساس للطريقة هو اتّباع السنة النبوية المطهرة .

النكتة الثانية : لا ينبغي أن تتحول الطريقة والحقيقة من كونهما وسيلتين إلى غايتين بحدّ ذاتهما (تستحوذان على قلب السالك وفكره و وجدانه) ، فإذا أصبحتا – الطريقة والحقيقة – مقصودتين بالذات ، فإن الأعمال الشرعية المُحكَمة ، وآداب السُّنة السَنية ، تنحسر حتى تأخذ الدرجة الثانية من الاهتمام لدى السالك ، وتصبح صورية شكلية بانشغال القلب بالتوجه إلى آداب الطريقة ورسومها ، أي أن المرء – عندئذٍ – يفكر بحلقة الذكر أكثر من تفكيره بالصلاة ، وينجذب إلى أوراده أكثر من انجذابه إلى الفرائض ، ويلزم نفسه بتجنب مخالفة آداب الطريقة أكثر من التزامه بتجنب الكبائر ، والحال أن أداء فريضة واحدة التزاماً بالأوامر الشرعية لا يمكن أن توازيها أوراد الطريقة أو تحل محلها .

فآداب الطريقة ، وأوراد التصوف ، وما يحصل للسالك منهما من أذواق ينبغي أن تكون مدخلاً لأذواق أحلى وأعلى وأسمى ، يحصل عليها هذا السالك من أداء الفرائض والسنن .

أي أنَّ ما يأخذه المرء من التكية (الزاوية) من أذواق ، لا بد أن تكون استهلالاً لأذواق الصلاة التي يؤديها في الجامع ، بقيامه بأركانها وأدائها على الوجه المطلوب ، وإلاّ فالذي تشغله أذواقه في التكية عن صلاته في الجامع ، فيؤديها بخفة وسرعة صورية وشكلية لا حرارة فيها ولا روح ، إنما يبتعد عن الحقيقة .

---

(٢) إن نسبة النبوة إلى الولاية كنسبة الشمس المشهودة بذاتها إلى صورتها المثالية الظاهرة في المرايا . لذا فإن سمو منزلة العاملين في دائرة النبوة وهم الصحابة الكرام الذين كانوا أقرب النجوم إلى تلك الشمس الساطعة ، وعلو مرتبتهم على الأولياء الصالحين ، هو بنسبة سمو دائرة النبوة وعلوها على دائرة الولاية .

***

الدعوة الإسلامية :

مقال : إلى من يهمه الأمر !

بقلم :الأستاذ الدكتور أشرف شعبان أبو احمد *

أولاً : يئن الوطن العربي من مشاكل وأزمات ألمت به وجعلته فريسة للتفكيك والتشتت ، وللخروج منها لا بد أن نتعامل معها كما لو كنا أبناء بلد واحد ، وأن نعترف بالحقائق والمسلمات الآتية : ليس الاستقلال أن يخرج الجندي الأجنبي من أرضنا ، تاركاً أتباعه وأعوانه ينهبون تراثنا ويستنزفون خيراتنا ، ولكن الاستقلال هو السيادة الوطنية على كل شبر من الأراضي العربية ، والتخلص النهائي من أي قواعد عسكرية أجنبية ، وعدم الاشتراك في أحلاف عسكرية مع دول أجنبية ، والاستقلال في كل قرار يخص مشاكلنا ، فلا يكون لأحد حق الوصاية علينا ، والاستقلال الحقيقي يعنى ألا نهرع إلى الشرق أو الغرب ، في كل كبيرة وصغيرة من أمورنا طالبين النصيحة ، وألا نكون تلاميذ ننقل عنهم كل ما يتداولونه ، حتى لو كان ضاراً بواقعنا ومصالحنا ، وينبغي أيضاً أن نعتمد على أنفسنا ، فلا نكون تابعين اقتصادياً وسياسياً لأية دولة أجنبية ، ولا نكون ولاية من ولاياتها ، لا بد أن نعمل من أجل التغييرات المنشودة في منظومة توجهاتنا السياسية والاقتصادية ، بما يضمن لنا التكامل والتعاون والوحدة الاقتصادية ، والأفضل دائماً أن نتغاضى عن اختلافات أنظمة الحكم في البلدان العربية ، حريةُ التعبير تدعم الاستقلال وتصونه ، لذلك ينبغي أن يشارك كل فرد في عملية الحوار البنّاء ، بعيداً عن التيارات والشعارات البراقة ، لكي لا يسقط في فخ بائعي الأوهام ، والوعي الصحيح الناضج يمكن صاحبه من التمييز بين الخطأ والصواب ، على قاعدة : "العمل من أجل مستقبل أفضل" حماية الاستقلال تتطلب تحقيق العدالة والمساواة بين فئات الشعب ، واحترام حقوق الإنسان وتلبية حاجاته وتطلعاته ، فالفقر علة

---

* جمهورية مصر العربية .

تهدد استقرار المجتمعات ، الاستقرار يعني تطوير التشريعات والقوانين على أن يكون الشعب رقيباً على الحياة السياسية ، وأن تكون الحكومات معبرة عن مصالح الشعوب ، حماية مستقبل الأجيال القادمة تعنى التصدي لأطماع الدول الاستعمارية الكبرى ، ومخططاتها ، لابتلاع خيرات الأوطان وثرواتها الطبيعية ، فالاستعمار الجديد يستخدم أساليب عديدة وجديدة للوصول إلى غاياته وتحقيق أطماعه .

ثانياً : من الظواهر التي طفت على سطح الحياة السياسة في أمتنا ، وأتت بنتائج أفسدت علينا حياتنا ، هي تعدد الآراء ، والاختلاف الشاسع في وجهات النظر ، حول كل قضية صغرت أم كبرت ، عظم شأنها أم قلّ ، وتعدد الآراء واختلافها يصح إذا كانت جميعها تنبع من معتقد واحد ، وكلها يبتغى بها وجه الله ، أما إذا تعددت المعتقدات والمذاهب ، وخضعت الآراء للأهواء والمصالح الشخصية ، وأسلمت وجهها تارة للشرق الشيوعي وتارة للغرب الصليبي ، فإنها تصبح ظاهرة مرضية يجب علاجها ، وقد يطول العلاج أو يقصر ، تبعاً لعودتنا إلى عقيدتنا ، وصلابة تمسكنا بها ، واتخاذها منطلقاً لرؤية وحل مشاكلنا ، خاصة بعد أن فطن الشرق الشيوعي لفساد وفشل نظرياته التي طالما أسبغ عليها المديح ، وها هي الأزمة المالية العالمية تجبر كثيراً من دول العالم الرأسمالي على الاعتراف بفشل نظرياته هو الآخر ، ومما لا شك فيه أنه إذا كانت تربيتنا وثقافتنا إسلامية ، فالكل سينطق في وقت واحد : هذا حلال وذاك حرام ، وإذا وجد فينا من يختلف معنا في القليل والنادر من الأمور ، فإنه سوف لا يختلف معنا في أن مرجعنا جميعاً إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فيما اختلفنا فيه ، قديماً قالوا : "اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية" ولكن القضية هنا أكبر من أن تتشعب حولها الآراء ، لأنها قضية عقيدة ودين ، وهي لا تخضع مطلقاً للآراء الذاتية والمصالح الشخصية ، وعلى الدعاة والمصلحين وأجهزة الإعلام بشتى أنواعها أن يفطنوا إلى ذلك ويجعلوه في الاعتبار ، فإن لم يفعلوا ناشتنا السيوف من كل جانب .

ثالثاً : الكل يتكاتف ويتعاون وترصد له الإمكانيات والطاقات من مادية وبشرية وأجهزة علمية صنعت خصيصاً لمثل هذه الأغراض ، ولكن ضد من ؟ إنها ضد قلة لا يملكون إلا إيمانهم القوي بالله ، وتماسكهم بكتابه وسنة رسوله ، كعقيدة وكمنهج ، خصصت لهم هذه الأجهزة للفتك بهم ، وإخراجهم عن رشدهم ، بعد أن هداهم الله ، ومن يهده الله فلا مضل له ، ولكن لا عجب من ذلك فمنذ بدء الدعوة الإسلامية ، وحتى يومنا هذا ، تعرض الإسلام لتيارات من التشكيك فيه ، وتعرض المسلمون لشتى أنواع العذاب والتنكيل والتهجير من قبل الحاقدين على الإسلام ، والمتسلطين علي أمور الحكم في بلاد المسلمين ، والمنتفعين من بعد المسلمين عن إسلامهم ، ولكن لم ولن يتحقق غرضهم في البطش بالمسلمين ، لا عجب في أن تكمم أفواه المسلمين ، وتصادر حريتهم ، بينما ضحكات الغانيات وصرخاتهم تدوي عالية في كل مكان ، وبينما عتاة الإجرام يعبثون بالحياة وهم بكامل حريتهم ، بل تخصص لهم من يحميهم ، ومن يخترع لهم المبررات لأفعالهم ليخلدها كبطولات ، نجد المشانق تنصب للمسلمين ، ولا عجب في أن تحبس الفضيلة وتطارد الأخلاق والقيم النبيلة ويشوه الصالحون ، لا عجب ممن ارتضى الإسلام ديناً إذا هو نفسه شكك في مدى صلاحية الإسلام كنظام للحياة يشبع الحاجات الروحانية والمادية ، الدينية والدنيوية ، ولا عجب عند ما يصاب البعض بالهلع والخوف عند سماع تطبيق الشريعة الإسلامية ، لأنهم لا يعلمون ما هو الإسلام .

رابعاً : مما لا شك فيه ، أن العالم المتحضر اليوم ، يبذل قصارى جهده ، من أجل إعطاء مزيد من الحريات للإنسان والارتقاء بالإنسانية ، ومساواة الناس أمام القانون ، وفي الحقوق والواجبات ، وعلى العكس من ذلك تسير الأمور في بعض الدول المتخلفة ، حيث تستأثر بالامتيازات والمخصصات قلة قليلة من الناس ، بينما باقي الأفراد يعانون من الحاجة والعوز ، تماماً كما كانت الحال في القرون الوسطي ، ففي الوقت الذي ترتفع فيه أسعار بعض السلع والخدمات على عامة الشعب ، نجد من ينهك

قواه في التحايل على القانون ، لإيجاد منفذ أو ثغرة أو حجة حت تبقى له الأسعار كما هي ، ولا يشعر بأية زيادة فيها أو عبء جديد عليه من جرائها ، وعند ارتفاع أسعار البنزين ترتفع تلقائياً أجور المواصلات ، ويترتب على ذلك أن أولئك الذين لا تسمح لهم مداخلاتهم بمواكبة الزيادة الجديدة ، سوف يلجأون إلى وسائل التنقل الأقل كلفة ، مما يشكل عبئاً جديداً على المواصلات الرخيصة ، ينعكس على مستوى خدمتها ، وبالتالي على المستفيدين منها ، في الوقت نفسه هناك من يسيئون استعمال الممتلكات العامة ، مستغلين علاقاتهم مع الهيئات والدوائر الرسمية ، الأمر الذي ينطبق على الانتفاع من سائر الخدمات واستعمال المرافق العامة ، في ما لا علاقة له بالشأن العام ، وإذا ما كانت الحاجة ماسة وضرورية أحياناً لزيادة أجور النقل والمواصلات أو غيرها من الخدمات ، فينبغي إلغاء الاستثناءات كافة من كل المجالات وكل القطاعات ، والقضاء بشتى الوسائل على المحسوبيات والوساطات ، ووقف كل التحايلات على القوانين ، وسد ما فيها من ثغرات لكي تتحقق المساواة بين الناس ، ولا تبقى مجرد نظريات وقوانين على الورق فقط .

خامساً : من المتابعة لما يضبط من جرائم ، وما ينشر عنها في الجرائد والمجلات ، نستدل كما لو كانت للجريمة والاعتقال مواسم كمواسم زراعة ونمو وحصاد المحاصيل ، إلا أن التغيرات السياسية ، وأهواء الإدارة القائمة عليها ، وما يلحقها أو يسبقها من قرارات اقتصادية غير مرغوبة من قبل الطبقة المحكومة ، لما تسببه من تدني الحالة المعيشية للغالبية العظمي للسكان ، من أهم العوامل التي تتحكم في بداية ونهاية موسم الجريمة والاعتقال ، بداية بجرائم السرقة والاختلاسات والحرائق والتي عادة ما تسبق مواسم الجرد السنوي للمخازن والشوون ، إضافة إلى جرائم الرشاوي ، ما كبر منها وما صغر ، كلما كانت هناك مصلحة يرغب صاحبها تحقيقها ، ومروراً بما يتم بين الحين والآخر من القبض على أعداد ضخمة من تجار العملة والمخدرات ، كما لو كان هناك مبرر

لتركهم كل هذا الوقت بدون الحساب ولا عقاب ، وانتفى هذا المبرر في حينه ، أما عن طوفان جرائم الغش الذي لم يعلن عنه إلا الآن ، رغم تكراره مع بدء موسم الامتحانات ، واعتراف بعض المراقبين بما تعرضوا له من تهديدات من قبل أولياء الأمور في الماضي ، يجعلك تؤكد لنفسك موسمية الجريمة ، منذ أكثر من عام مضى أعلن عن ارتكاب جريمة اغتصاب بشعة ، وما أعلن عنها ، حتى توالت الصحف في العام نفسه بالإعلان عن جرائم اغتصاب أخرى تكاد تكون تمت بالطريقة والكيفية نفسها كما لو كان هناك شبه اتفاق بين المغتصبين أن يقوموا بجرائمهم هذه في عدة محافظات مختلفة في آن واحد ، وهذا لا يمكن تصوره عقلياً ، هذا بخلاف جرائم الدعارة والآداب التي تكون العوامل سالفة الذكر أداة محركة لها باستثناء بعض ما يتركب منها ، وليس له أي ضابط مادي ملموس ترجع إليه كارتفاع معدل الاغتصاب والشذوذ الجنسي .

سادساً : من العجيب أن أي نوع من المخلوقات في هذا الكون لا يعامل أفراده أو بني جنسه ، كما يعامل الإنسان بني نوعه ، فلا ترى حيواناً يتلذذ بتعذيب آخر أو من أجل أن يكون سيداً عليه ، على الرغم من أن الطبيعة قد جعلت من بعض الحيوانات يتعرض للبعض الآخر ، إلا أن هذه العلاقة الهجومية تنتهي بمجرد إشباع غزيرة الجوع ، وبعدها لا تجد حيواناً يهاجم آخر ، فلم نر السباع تجهز جيوشاً حربية جرارة لمهاجمة بني جنسها ، ولم نسمع عن كلب استعبد غيره من الكلاب ، ولم تقم ضفدعة بإغلاق أفواه غيرها من الضفادع ومنعها من النقيق ، فداخل فضائل سائر المخلوقات نادراً ما يحدث صراعات ، ومن المؤسف أنه منذ وجدت الحياة على سطح الأرض ، لم يزهق أبناء أي جنس أرواح أبناء جنسهم ، ولم يزهق أبناء جنس أرواح بني جنس آخر ، بقدر ما أزهق الإنسان من أرواح بني جنسه ، في أي من الحروب التي خاضتها البشرية ، وكذلك فإن سائر المخلوقات الأخرى جميعها لو اجتمعت فإنها على مدار تاريخها لم تزهق أرواح آدميين بقدر ما أزهق الإنسان من أوراح بني نوعه .

مجلس مع الإمام الندوي

بقلم : الدكتور عبد الحكيم الأنيس *

فاز العلامةُ الكبير الداعية البصير الأستاذ الشيخُ أبو الحسن الندوي سنة ١٤١٩هـ بجائزة الشخصية الإسلامية التي تمنحها جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم كلَّ سنةٍ لشخصيةٍ كبيرةٍ خدمت الإسلام ، وقد حضر إلى دبي ، وكُرِّمَ تكريماً كبيراً ، وألقى كلمةً مؤثرةً في الحفل الختامي للجائزة ، ذَكَرَ فيها شعراً لمحمد إقبال ، وقال في كلمته :

(لو جُمِعَ لي العربُ في صعيدٍ واحدٍ، واستطعتُ أنْ أوجِّه إليهم خطاباً تسمعهُ آذانُهم ، وتعيه قلوبُهم لقلتُ لهم :

أيها السادة :

إنَّ الإسلامَ الذي جاء به سيدُنا محمدٌ العربي صلى الله عليه وسلم هو منبعُ حياتِكم ، ومِنْ أفقهِ طلع صبحُكم الصادقُ ، وإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم هو مصدرُ شرفكم ، وسببُ ذكركم ، وكلُّ خيرٍ جاءكم – بل وكل خيرٍ جاءَ العالم – فإنّما هو عن طريقهِ ، وعلى يديهِ ، أبى الله أنْ تتشرَّفوا إلا بانتسابكم إليه ، وتمسُّكِكم بأذيالهِ ، والاضطلاعِ برسالتهِ ، والاستماتةِ في سبيلِ دينهِ ، ولا رادَّ لقضاءِ الله ، ولا تبديلَ لكلماتِ الله ، وإنَّ العالمَ العربيَّ بحرٌ بلا ماءٍ كبحرِ العروضِ حتى :

- يتخذَ سيدَنا محمدًا ﷺ إماماً وقائداً لحياته وجهاده .
- وينهضَ برسالة الإسلام كما نهضَ في العهدِ الأول .
- ويخلص العالمَ المظلومَ مِنْ براثن مجانين أوروبا الذين يأبون إلا أنْ يقبروا المدنيةَ ، ويقضوا على الإنسانيةِ القضاءَ الأخيرَ بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم .
- ويوجِّهَ العالمَ :

مِن الانهيار إلى الازدهار .

ومِن الخراب والدمار والفوضى والاضطراب ، إلى التقدم والانتظام والأمن والسلام .

ومن الكفر والطغيان إلى الطاعة والإيمان .

وإنه حقٌّ على العالم العربيِّ سوف يُسألُ عنه عند ربِّه فليَنْظرْ بماذا يُجيب) .

وفي اليوم الثاني (الجمعة ٢١ من رمضان ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/١/٨م) ذهبتُ أنا وجاري الشيخ خلدون مخلوطة إلى فندق البستان ،

* كبير باحثين أول في دائرة الشؤون الإسلامية بدبي .

وصلينا العصرَ في المصلى ، ثم صعدنا إلى الطابق الثالث حيث الشيخ أبو الحسن الندوي ومرافقوه كان يُصلي العصر ثم خرج ، قلتُ له: نحنُ من تلاميذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، فقال: رحمه الله ، كان يعطف علينا ، وقدَّم لي بعضَ كتبه ، وقدَّمتُ له بعضَ كتبي (أو قال:قدَّمَ لي بعضَ كتبي، وقدَّمتُ له بعضَ كتبه) .

وأهديتُ إلى الشيخ نسخةً من كتاب "العُجاب في بيان الأسباب" للحافظ ابن حجر العسقلاني، وهو الكتاب الذي منَّ الله بتحقيقه وخدمته في مرحلة الدكتوراه ، فنظرَ فيه وقال : أهو مجلدان ؟ قلت : نعم .

كما قدمتُ له هذه القصيدة :

عربي من الهند :

إيهٍ أبا الحسنِ الندوي يا رجلاً ... قد طوّفَ الأرضَ مِنْ بدوٍ ومِنْ حضرِ
يدعو إلى الله في الدنيا بأجمعها ... يَسيرُ في النّاس لا ينفكُ من سفرِ
وجهٌ مِن الهند ، في عينيه جذوتُها ... لكنما القلبُ مِنْ واحاتنا الخضُرِ (١)
ستون عاماً مِن الأعباء ما وهنتْ ... عزيمةٌ منه تَسعى سعيَ مقتدرِ
دعا إلى الله لم يركنْ إلى أملٍ ... ولم يعشْ عمرَه يرنو لـ (مُنتَظَر) (٢)
إذا استنامتْ على الآمال أمتُنا ... ضاعتْ، ولم تُبقِ مِنْ خيرٍ ولم تذرِ
يا أمةَ الحق يا نوراً له ألَقٌ ... شقّي بربك ثوبَ الخوفِ والحذرِ
قومي من النومِ لا تخشى مصاولة ... وجرّدي العزمَ في ساحاتِنا الحُمُرِ
كم ذا يجرِّ خساراتٍ تخلفنا ... على الحياةِ وكم يُدني من الخطرِ (٣)
لا تطلبي قدَراً يأتي لنجدتنا ... تأهبي واركبي الدنيا إلى القدَرِ
العالمُ اليومَ في شوقٍ لعودتنا ... ونحنُ في غيبةٍ كبرى بلا أثرِ
صحا العبادُ وقاموا في مطالبهم ... حتّى كأنَّ لهم عُمْرين في عُمُرِ
ونحنُ أوقاتُنا تمضي بلا هدَفٍ ... كأنّها فائضٌ يُرمى مع القذَرِ
يا أيها الشيخُ كنتَ النّور – في ظُلَمٍ ... غطّتْ علينا – ، كنورِ الشمسِ والقمرِ
أدامك الله نبراساً يُضيئُ لنا ... دربَ النجاة ، ويُحيي دارسَ الأثرِ

ثم طلبتُ منه الإجازة فقال : لابُدّ من قراءة " الأوائل" .

قلت : معي "الأوائل السُّنبلية" فنظرَ فيها ، وطلبَ أوراقاً ، فأتوه بالإجازة مطبوعةً مع أوائل الكتب الستة ، وموطأ مالك ، ومسند أحمد فقرأتُها عليه ، وهو والحاضرون يَسمعون ، ثم قال : اكتبْ اسمَك هنا. فكتبتُه ، وأخذها فكتبَ اسمَه ، وكتب : دبي ، ثم قال : اكتب التاريخ .

(١) إشارة إلى نسبه العربي الهاشمي .

(٢) إشارة إلى المبادرة وعدم انتظار المهدي المنتظر .

(٣) إشارة إلى كتاب الشيخ القيم "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" .

وقلتُ له : أرسلتُ إليكم خطاباً من بغداد ولم أتلق جواباً ؟ فقال : لم يصلْ إليَّ ، ربما بسبب الرقابة .

وجاء الدكتور تقي الدين الندوي فاستأذنَ أنْ يُدخِلَ الشيخَ إلى غرفة النوم دقيقة ، فدخلَ وتأخر !

وفي هذه الأثناء دخل الدكتور الشيخ إبراهيم سلقيني عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ، وأخوه الدكتور عبد الله ، و الدكتور عبد الرحمن الصابوني ، والدكتور حسن مَرْعي ، المدرّسون في هذه الكلية ، وسلموا على الشيخ ، وهو على سريره ، ودخلنا معهم ، وحين خرجوا تقدمتُ من الشيخ ، وطلبتُ منه النصيحة ، وكلماتٍ نحفظها عنه ، فقال لي : (الإيمان والاحتساب في كل شيء ، حتى في الطعام والشراب والمنام ، وأمورك كلها) .

وسلمتُ على الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، وأخذتُ عنوانه .

وذهبنا إلى الغرفة رقم (١٢) للقاء الشيخ سلمان الحسيني الندوي ، وكان يأخذ قسطاً من الراحة فوقفت مع بعض الشيخ الحاضرين ، ثم عدتُ وكان الشيخ سلمان قد استيقظ ، ورحّب بنا ، وجلستُ عنده ، وذكرتُ له أني قرأتُ رسالتَه النافعة عن (الإعداد لسنّ التكليف) ، وسألتُه عن أعماله ، فعدّد بعضاً منها ، وسألني عن بغداد ، – وكانتْ قصفتْ في أول رمضان – ثم قال بأسفٍ : هذه بغدادُ الرشيد والمنصور ، وبدا عليه التأثرُ ، واستجزتُه فقال : لابُدَّ من القراءة ، وقرأتُ عليه "أوائل الكتب الستة" ، وقال : حصلَ الإذن ، ولكنَّ أسانيدي ليستْ معي ، وأعطاني عنوانه ، وقال : تُكاتِبني لأرسلَ لك الإجازة مكتوبة إن شاء الله ، وسألني : هل زرتَ لكنو ؟ فقلتُ : لا ، فقال : تزورُها إن شاء الله ، وسألني عن الدكتور محمد محروس المدرّس الأعظمي ، وقال : جاء إلينا في ندوة العلماء ، وألقى محاضرات طيبة ، وسألني عن تخصُّصي ، ثم استأذنّا ، وخرجنا إلى البيت حامدين الله على هذه اللقاءات المباركة .

قلت : وقد خرّج البحاثة الأستاذ الدكتور محمد أكرم الندوي للشيخ أبي الحسن الندوي ثبَتاً سمّاه : (نفحات الهند واليمن بأسانيد الشيخ أبي الحسن) .

وخرج للشيخ سلمان الحسيني ثبتاً سمّاه (العقد اللجيني في أسانيد المُحدّث الشريف سلمان الحسيني) وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : في فوائد تتعلقُ بالإسناد والرواية .

الفصل الثاني : في ترجمته .

الفصل الثالث : في أسانيد أمهات كتب الحديث .

الفصل الرابع : في الاتصال بالأثبات .

وصدر عن دار الغرب الإسلامي سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م في ١٢٨ صفحة.

الحوار : وسيلة سعيد النورسي لنشر السلام العالمي

بقلم : الدكتور محمد أيوب تاج الدين الندوي *

السلام في المجتمع البشري مقصد شريف يتطلبه كل فرد من أفراده ، ولا يتحقق ذلك إلا إذا تفاهمنا الآراء والرؤى فيما بينهما ، والحوار أجل وسيلة لنشر السلام في المجتمعات البشرية ، والعقلاء يبحثون عن فرص لتبادل الأفكار وتفاهم المواقف وحصول التجارب ، وكل ذلك بدوره يقود الناس في المجتمع إلى معرفة أحوال الآخرين وظروفهم والتفاهم معهم ، ومن المعلوم أن للتعددية الثقافية فوائد كثيرة ولكنها في نفس الوقت لها تحدياتها ومشكلاتها ، وإن وجهة نظر دينية خاصة أو فكرة مذهبية يمكن أن تشعل شرارة الخلاف وحتى الصدام في المجتمعات البشرية .

إن الناس في العالم المتعدد الثقافات ينتسبون إلى ديانات عديدة وحتى إلى أقاليم ومناطق مختلفة ، وإذا كانوا في دين واحد فهم يتوزعون إلى مذاهب ومدارس فكرية متعددة ، ولقد خلق الله تعالى الناس وجعلهم مختلفين في ألوانهم وأجناسهم وألسنتهم ولكن هذه الاختلافات ليست لكي يتناكروا ويتنازعوا وإنما هي ليتعارفوا كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات الآية/١٣) "أتقاكم" .

فالذين يتعاملون معاملة العنف لسيطرتهم في المجتمع وهيمنتهم على الناس أولئك هم الأغبياء الذين طاشت عقولهم ، وأما الذين صبروا واختاروا التعقل والحكمة لحل المشكلات فأولئك هم الأذكياء وهم يعقلون ، والحوار أجمل وسيلة يستخدمها العقلاء لحل المشكلات في المجتمع ، وهو افضل منهج يتخذه أولو الألباب لنشر السلام في الناس ، وإن العلامة سعيد

* قسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي . Email: mayub@jmi.ac.in

النورسي اتخذ الحوار وسيلة ودعا إليها الآخرين في أيامه حتى يسود الأمن والسلام في العالم المتعدد الثقافات ، وذلك سوف نتحدث عنه اليوم في هذه المقالة .

في العقد الأول من القرن الحالي تكشف عقد برامج ومؤتمرات حوار الأديان في العالم ، وذلك بعدما اقترح الباحث السياسي صموئيل هانتغتون نظرية صراع الحضارات وآمنت بها أمريكا وبدأت تهاجم دول الشرق وخاصة الدول الإسلامية مثل أفغانستان والعراق ، و بعدما عانت من خسائر فادحة في الأموال والأنفس ووجدت أن المسلمين بدؤا يبغضونها بغضا شديدا وخافت أن حربها الإستراتيجية في غرب آسيا تتحول إلى حرب صليبية جديدة ، لجأت أمريكا إلى حوارات للديانات المختلفة وخاصة الإبراهيمية منها وحاولت أن تقلل غضب المسلمين وقدمت نظرية الحوار بين الأديان ، ومن المعلوم أن الإسلام من أول يومه شجع الحوار والمجادلة مع أهل الكتاب ، وليس هذا أمرا جديدا ومستحدثا لدى المسلمين ، وإن المسلمين دعوا دائما – إتباعا لرسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم – إلى هدم الجدران وإقامة الجسور المتينة بين مختلف الأمم كي تتعارف الثقافات والشعوب وإلى إقامة الحوار بدل الصراع ، الحوار الحر الصادق انطلاقا من قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٦٤) ونجد أن العلامة سعيد النورسي اتبع سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في هذا المجال وقدم لنا قدوة ومثالا لدعوته مختلف القوميات إلى التعارف والحوار .

إن الأوضاع الحالية التي يمر بها العالم ككل والعالم الإسلامي خاصة ، تفرض على الدعاة وحملة الأقلام الدعوية مخاطبة غير المسلمين أيا كان موطنهم بأسلوب الإقناع بعيدا عن العصبية ، لتغيير المفاهيم التي روج لها المستشرقون في الغرب ، واستغلها الساسة والمثقفون والكتاب الذين لهم موقف معاد للإسلام ، وإن في حياة العلامة سعيد النورسي نموذجا صالحا لكل من يهتم بالمجتمع الإنساني وسيادة الأمن والسلام فيه ولكل من يريد اعتماد التفاهم بين مختلف الطبقات البشرية في العالم ولكل من يود أن يدخل المعركة الثقافية في أوساط المثقفين في العالم لأجل نشر السلام

والأمن عن طريق المجادلة الحسنة والحوار .

فإذا نظرنا في شخصية الشيخ سعيد النورسي – رحمه الله – وما فيها من مواصفات حقيقية، وإذا أردنا أن نقوّم هذه الشخصية في الواقع البيّن ، نرى أن هذا الإنسان هو مصلح لقرنه ، وذلك لما اتصف به من صفات دعوية ، وما نادى به من مبادئ للإسلام وتعاليمه ، فكان رحمه الله صورة صادقة ومعبرة لهذه المبادئ التي يدعو إليها .

ويمكننا من خلال النظر في سلوك الشيخ سعيد النورسي – رحمه الله – في دعوة الناس إلى دين الله أن نقول : إنه تمثّل المرونة في الدعوة مع الآخرين ، حيث صهر مبادئ دعوته وفكرته ثم أعاد صياغتها من جديد صورة أخرى من معدنها الأصلي نفسه دون تغيير لجوهر هذه المعادن ، وبما يتناسب مع معطيات العصر ، وعلّم هذا أتباعه ولقنهم أصول الدعوة وتعاليمها ، ودعاهم إلى الجهاد مع الغرب ولكن ليس بالأسلحة وإنما باللسان والقلم وبالحوار والجدال وذلك لأن حال الغرب قد تغيرت وظروفهم قد تبدلت وننقل هنا قوله : "وفي أيام الحضارة الحديثة هذه ، تحضر الأوروبيون وهم أقوياء وقد غابت عداوتهم الشديدة ، ففي أمر الدين نستطيع أن نغلبهم عن طريق الإفهام والحوار وليس بالعنف والإكراه وعن طريق تطبيق القول بالعمل أن الإسلام دين جدير بالاحترام والمحبة وأن شأنه كبير وعظيم ، وأما العنف والعداوة فهما وسيلة للغلبة على المتوحشين" (١) .

وحين بدأ وعي الشيخ سعيد النورسي يتفتح عما يجري في عالمه الإسلامي ، وجد أن هناك التعصب المذهبي وبروز الطائفية ، وأفكاراً في الوطنية والقومية ، والمناداة ببعض المبادئ الهدامة والمنحرفة.وكل هذه الأمور أدت إلى فرقة الأمة وتشتت كلمتها وضعف قوتها والتبعية للغير ، عند ذلك رأى الشيخ سعيد نورسي أن الوسيلة في إنهاء هذه الظواهر في المجتمع المسلم والتخلص منها هي الدعوة إلى وحدة الكلمة ووحدة القلوب والعمل مع الآخرين على تخليص الأمة من أسباب الضعف والشتات والتبعية ، وهو مطلب شرعي حث عليه الإسلام ، وطالب أتباعه بالتمسك به : ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) خطبة دمشق (بالإنكليزية) ص/٨٥ .

فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام الآية/١٥٩) ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (سورة المؤمنون الآية/٥٢) ولذلك نجد العلامة سعيد النورسي يقدر الشعبين العرب والأتراك ويدعوهم إلى الوحدة بينهم فيخاطب العرب قائلا : "أنتم معلمونا وقادتنا بل ومعلمون وقادة لجميع المسلمين وأنتم مجاهدو الإسلام ، أما الأتراك فدخلوا ساحة التاريخ متأخرين وذلك ليساعدوكم في أداء الواجب الديني المقدس" (٢) ودعا الشيخ سعيد النورسي إلى وحدة الأمة الإسلامية وشبه المجتمع الإسلامي "بمصنع ذي تروس وآلات عديدة ، فإذا ما تعطل ترس من ذلك المصنع أو تجاوز على رفيقه الترس الآخر فسيختل حتما نظام المصنع الميكانيكي ، لذا فقد آن أوان الاتحاد الإسلامي وهو على وشك التحقق، فينبغي أن تصرفوا النظر عن تقصيراتكم الشخصية ، وليتجاوز كل عن الآخر (٣) .

ويدعو الشيخ سعيد النورسي المسلمين إلى الإخلاص والوفاء والنصيحة في الشورى والحوار في اللمعة الحادية والعشرين من اللمعات في رسائل النور وقال : "وبما أن الحوار والتشاور ينتج في الإخلاص والتضامن مثلما إذا جمعت ثلاثة ألفات تحولت إلى مئة وأحد عشر وهكذا إذا توحد ثلاثة أشخاص بينهم تضامن ومحبة فيكونون بمثابة مئة شخص لصالح الأمة" (٤) .

وانطلاقاً من مبدأ التعاون على الخير ودرء المفاسد عن هذه الأمة : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة الآية/٢) سلك الشيخ سعيد النورسي سبيل الحوار الهادئ البنّاء مع مخالفيه في الرأي أياً كانت مواقفهم وآراؤهم أو حتى عقائدهم وأديانهم متخذاً في وجهته هذه "خلاف الرأي لا يُفسد للود قضية" متحلياً بكل الصفات التي تحقق الهدف في هذا الجانب ، ولذلك نجد أن الشيخ سعيد النورسي يقدر الجماعات المختلفة ويحسن الظن بها وكان يتوقع أن هذه الجماعات تعود يوما إلى خدمة الإسلام وقد أيد "جون تورك" تركيا الفتاة حتى اعتبرهم مجاهدي الإسلام ليقربهم إلى الإسلام زلفى فقال في جون تورك : "فاعلموا

(٢) خطبة دمشق (بالإنكليزية) ص/٥٣ .

(٣) الخطبة الشامية ص/٧٢ . (٤) اللمعات ص/٢٤٠ .

أن قسما من أولئك هم مجاهدو الإسلام ، وقسما منهم فدائيو سلامة الأمة ، فالذين يشكلون القسم الأعظم منهم والعقدة الحياتية لهم هم من غير الماسونيين ويمثلون أكثرية الإتحاد والترقي ، فهناك علماء ومشائخ في صفوف "جون تورك" بقدر عشائركم" (٥) .

ولما سئل العلامة سعيد النورسي عن رأيه في جمعية "الاتحاد والترقي" فكان جوابه تقديرا لها وكان حسن الظن بأصحابها بعد ما ذكر شدتها واستخدامها العنف فقال : "مع أنني أثمن قيمتهم إلا أنني أعترض على الشدة التي يزاولها سياسيوهم ، وأهنئهم في الوقت ذاته وأستحسن – إلى حد ما – فروعهم وشعبهم الاقتصادية والثقافية ولا سيما في الولايات الشرقية" (٦) .

وكان الشيخ سعيد النورسي يبادر الآخرين ويلتقيهم ويحاورهم بعيداً عن أي خلفية عدائية في نفسه ، وعن أي حساسية بسبب الاختلاف معهم ، سليم الصدر معافى من الحقد والضغينة ، متسامحاً مع قبيله ليّناً مع محاوره ، مستخدماً في ذلك طراوة الكلام وحلاوته وحكمته ، وسلامة القول واللسان وطهره ، مستبعداً عن تفكيره إقصاء الغير حين لا يكون على نهجه أو تفكيره أو عقيدته : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ (سورة الأعراف الآية/٤٣) وكان الشيخ النورسي يدعو الناس بغض النظر عن مشاربهم ومذاهبهم إلى الحوار والتشاور حتى يسود السلام في المنطقة فيقول : "فكما أن الأفراد في حاجة إلى التشاور والحوار فكذلك الأمم حتى القارات في حاجة إلى ذلك" (٧) .

وكان – يرحمه الله – يقر باختلاف الأفهام والعقول والقدرات والإمكانات والمواهب، الذي يؤدي إلى اختلاف في الآراء والأحكام والمواقف ، وانطلاقاً من إقراره بأن اختلاف الآراء أمر طبيعي بين الناس ، ومن مبدأ الحوار الهادف المثمر البنّاء وتكريساً للمقولة "خلاف الرأي لا يُفسد للود قضية" ، وتأكيداً لأقواله وتفعيلاً لها ، والانتقال إلى ميدان الفعل والتطبيق ، فقد أعد مجموعات من الطلاب وأسس الجامعة المحمدية والتي تساعد في هذا الحوار سواء في داخل جماعته أو مع الآخرين أياً كانت

(٥) سيرة ذاتية ص/٨٨ . (٦) سيرة ذاتية ص/٨٩ . (٧) خطبة دمشق ص/٥٦ .

مشاربهم وانتماءاتهم ، وأما موقفه من الأقليات والطائفية في المجتمع الإسلامي : فالشيخ سعيد النورسي – رحمه الله – في كل آرائه ومواقفه وسلوكه إنما ينهل من النبع الصافي نبع الرسالة المحمدية ومدرستها البناءة المتميزة باللين والتسامح ، وإنسانيتها العامة ، فهو يستقي مواقفه وآراءه بالنسبة لغير المسلمين من أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، فكان الشيخ سعيد النورسي حسن التعامل والعلاقة مع يهود الدونمة الذين يشاركونه العيش في بلده الذي نشأ فيه حتى حدا به الأمر أن اجتمع ببعض قادتهم لخير بلاده ومصلحة أمته ، ولا غرابة في ذلك ، فهديه هدي محمد صلى الله عليه وسلم حين وصل إلى بلد المهجر – المدينة المنورة – والتقى اليهود ، وعقد معهم العهود والمواثيق على عدم العدوان فيما بينهم وبين المسلمين ، وعلى مناصرة بعضهم بعضاً إذا حصل على المدينة عدوان ولم يمنعه من ذلك خلاف دين ولا عدم اتباع له مع علمهم ومعرفتهم أنه رسول الله ، ولم يمنعه من ذلك خلاف رأي ولا طباع ، ولم يقاتلهم ولم يرفع السيف في وجوههم إلا من بعد ما نقضوا العهود والمواثيق وخانوها وحاولوا الغدر به وبالمؤمنين .

وكذلك معاملته صلى الله عليه وسلم للنصارى واستقباله لهم استقبالاً حافلاً حين قدموا إليه في المدينة المنورة ، وأوصى بالبر والإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (سورة الممتحنة الآية/٨) كما أوصى بإنصاف الذميين وحُسن معاملتهم "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" .

ولكن الشيخ سعيد النورسي لم يتنح أبدا من شريعته المطهرة لأجل إرضاء الآخرين ولم يتهاون ولم يداهن في دينه مع كونه يرحب دائما حتى بمعارضيه وأعدائه ، والتواصل معهم لخير البلاد ولصالح الأمة ولذلك نجده أشد الأشداء على من تدخل في عقيدته وواجباته الدينية مثلما حدث معه حينما اجتمع مع مصطفى كمال أتاتورك الذي دعاه للاستفادة من آرائه السديدة ولكنه حينما وجد أن أول عمل قام به الشيخ النورسي هو كتابته للأمور حول الصلاة واعتبره مصطفى كمال بذرة للاختلاف فأجاب الشيخ

وهويشير إليه بأصبعه قائلا :

"باشا .. باشا .. إن أعظم حقيقة في الإسلام – بعد الإيمان – هي الصلاة ، والذي لا يصلي خائن ، وحكم الخائن مردود" (٨) .

وإذا نظرنا في رسائل النور وأمعنا فيها وجدنا أنها مجموعة من الحوارات ، وإننا نجد فيها حوارات مباشرة وغير مباشرة ، ونجد أنه في هذا المجال قد استفاد من أسلوب القرآن إذ أن أسلوب القران هو أسلوب الحوار ، فكلما تعمق سعيد النورسي في معاني القران الكريم وأسلوبه تأثر به واصطبغ بصبغة القرآن ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (سورة البقرة الآية/١٣٨) ونجد أن الشيخ سعيد النورسي يتحاور مع الطلاب حينا ومع العلماء حينا آخر، ويجادل مع المسلمين ومع غير المسلمين بالتي هي أحسن ونجده لا ينزعج أبدا من الحوارات الثقافية مع أي شخص كان ، فعلى سبيل المثال كان – ذات مرة – مسافرا بالقطار إلى "روم إيلي" فسأله معلمان : "أيهما أقوى وأولى بالالتزام : الحمية الدينية أم الملية" ؟ (٩) .

فما كان جوابه إلا أن سوى بين الاثنين وقال : نحن معاشر المسلمين ، الدين والملة عندنا متحدان بالذات" (١٠) .

ولما سئل عن الدليل على ذلك ذكر القطار مع ضجيجها وصيحتها وقارن بين الصبي الذي لم يخف من القطار وبين رستم الفارسي وهرقل اليوناني وخوفهما وهلعهما وفرارهما من القطار (١١) .

وخلاصة الكلام أن الشيخ سعيد النورسي كان رجل الحوار والتواصل والحجاج والإقناع وكان منهجه في الحوارمنهج القرآن ولماذا لا يكون ذلك فإنه كان قد تشبع بمعاني القرآن تشبعاً كافياً ، وبصراحة لم أستطع أن أقرأ رسائل النور بل ولم أستطع أن أتصفحها تصفحا ولكن الذي قرأت من رسائله – وهو قليل جدا – جعلني أتيقن أن العلامة سعيد النورسي غاص في معاني القرآن وتعمق فيها واستخرج لنا لآلي ودررا تنير طريقنا إلى السعادة في هذه الدنيا وإلى النجاة في الآخرة (بمشيئة الله تعالى) .

(٨) سيرة ذاتية ص/١٨٦ .
(٩) الخطبة الشامية ص/٧٨ .
(١٠) نفس المصدر ص/٧٨ .
(١١) نفس المصدر ص/٨١ – ٨٣ .

علموا نساءكم سورة النور **

بقلم :الأخ محمد علي الوائلي *

إن العناية بكتاب الله عز وجل ومذاكرته وتفهُّم معانيه وترسُّم هديه ، نعمة من الله تبارك وتعالى ، ولذلك اصطلح العلماء رحمهم الله على تسمية هذا العلم بعلم التفسير ، وإن عمَّموه قالوا : علم القرآن ، وأرادوا بذلك العناية بكتاب الله عز وجل بمعرفة حدوده ، والوقوف عند آياته وعظاته. ومن ثم كان أشرف العلوم وأزكاها وأعلاها ، علم تفسير كتاب الله بمعرفة حلاله وحرامه ، و وعده و وعيده ، وبشارته ونُذره ، والوقوف على أحكامه وحدوده ، وتبين مسائله وشرائعه ، فالعناية بذلك كله توفيقٌ من الله تبارك وتعالى ، ومنحةٌ و عطيةٌ من الله سبحانه وتعالى .

سورة النور من السور المدنية التي تمتاز ـ كأيّ سورة مدنية ـ بتناول الأحكام الشرعية ، وتعني بالأمور الاجتماعية والنصائح العائلية ، وتهتم بالقضايا العامة والخاصة التي ينبغى أن يربّى عليها المسلمون أفراداً وجماعات ، وقد اشتملت على أحكام عامة وتوجيهات هامة تتعلق بالأسرة التي هي نواة المجتمع ، كالاستئذان عند دخول البيت ، وغض البصر ، وحفظ الفروج ، وحظر اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات ، وما ينبغي أن يكون عليه البيت المسلم والأسرة المسلمة من العفاف والنزاهة والطهر والاستقامة على شريعة الله صيانة لحرمتها وحفاظاً عليها من عوامل التفكك الداخلي والانهيار الخلقي الذي يهدم الأمم والشعوب وكذلك تحد سورة النور حول المجتمع الإنساني حدودا توجب المحافظة عليها لتكون الأسرة المسلمة مطهرة من الخبائث والرذائل .

وجه التسمية :

سميت سورة النور بهذا الاسم لتنويرها طريق الحياة الاجتماعية

(**) هذا ما كتب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى والي كوفة – حاشية العلامة الصاوي ج/٤ ص/١٧١ .

* الباحث/مركز الدراسات العربية والإفريقية جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي .

للناس ، ببيان الآداب والفضائل ، وتشريع الأحكام والقواعد ، ولتضمنها الآية المشرقة وهي قوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (سورة النور الآية/٣٥) أي منورهما ، فبنوره أضاءت السماوات والأرض ، وبنوره اهتدى الحيارى والضالون إلى طريقهم (١) .

وكذا إنه من اسماء الله سبحانه وتعالى النور ، ومن صفاته أنه نور ، وأن الوحي الذي أنزل الله سبحانه وصف بالنور كما قال الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ وأن نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام قد وصفه الله بالنور فكلاهما كما قال الله سبحانه ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فإذا أراد الإنسان النور من غير هذا النور فوالله لن يحصل إلاّ على الظلمات فترى بعضهم يبحث عن السعادة في المال والمراكب والمنازل ، كل هؤلاء لن يصلوا إلى هذه السعادة الأبدية الخالدة.، وانطلاقا من هنا ، وخالقنا جلّ وعلا ينور طريقنا بنوره ، وهو نور على نور .

فضائل سورة النور :

حدثنا عبد الله قال حدثني جعفر بن محمد بن فضيل من أهل رأس العين قال حدثني معافى بن سليمان حدثنا موسى بن أعين عن ابن كاسب الكوفي عن الأعمش عن شقيق قال : سمعت ابن عباس وكان على الموسم فخطب الناس ثم قرأ سورة النور فجعل يفسرها ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ ثم قال : النور في قلب المؤمن وفي سمعه وبصره مثل ضوء المصباح كضوء الزجاجة كضوء الزيت أو كظلمات في بحر لجي ، والظلمات في قلب الكافر كظلمة الموج كظلمة البحر كظلمات السحاب فقال صاحبي : ما رأيت كلاما يخرج من رأس رجل لو سمعت هذا الترك لأسلمت (٢) .

وعن ابن الطائني ، عن أبي عبد الله المؤمن ، عن ابن مسكان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : حصنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور ، وحصنوا بها نساءكم ، فإن من أدمن قراءتها في كل يوم أو في كل ليلة لم يزن أحد من أهل بيته أبداً حتى يموت ، فإذا هو مات شيعه إلى قبره

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ج/١ ص/٤٤٨ .

(٢) ص/٩٨٤ ج/٢ الكتاب : فضائل الصحابة ،المؤلف : أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني .

سبعون ألف ملك كلهم يدعون ويستغفرون الله له حتى يدخل في قبره .

المواضيع التي تعالج هذه السورة :

والموضوع الذي اختاره الله مبحثا في هذه السورة معظمها بل كلها يدور على رحى آداب البيت والأسرة بل وعلى رحى التربية الإيمانية الصافية ، و أما مجمل الموضوعات التي تتناولها سورة النور للبحث ، فهي :

- الزنا وقذف المحصنات وحدودهما .
- اللعان وما يترتب عليه .
- تبرئة أم المؤمنين عائشة الصديقة مما رميت بالإفك .
- التحذير من اتباع خطوات الشيطان .
- بيان شروط الاستئذان وآدابه .
- غض البصر .
- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ .

وهيأ نروح لنرى كيف عالج خالق السماوات والأرض هذه المواضيع في محكم تنزيله ، وكيف قنّن القوانيين لإصلاح المجتمع الإنساني .

الزنا وقذف المحصنات وحدودها :

واعلم أن الزنا حرام ، وهو من الكبائر ، ويدل عليه أمور : أحدها : أن الله تعالى قرنه بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ (سورة الفرقان الآية/٦٨) وقال : ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (سورة الإسراء الآية/٣٢) ، وثانيها : أنه تعالى أوجب المائة فيها بكمالها بخلاف حد القذف وشرب الخمر ، وشرع فيه الرجم ، ونهى المؤمنين عن الرأفة وأمر بشهود الطائفة للتشهير ، وأوجب كون تلك الطائفة من المؤمنين ، لأن الفاسق من صلحاء قومه أخجلهم ، وثالثها : ما روى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال : "يا معشر الناس اتقوا الزنا فإن فيه ستّ خصال ، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة ، أما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر ، وأما التي في الآخرة فسخط الله سبحانه وتعالى وسوء الحساب وعذاب النار" (٣) عن عبد الله

(٣) الكتاب : البحر المديد المؤلف : أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ص/٧٥ ج/٥ .

قال سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال (أن تجعل لله ندا وهو خلقك) قلت : إن ذلك لعظيم ، قلت ثم أي ؟ قال (وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك) قلت ثم أي ؟ قال (أن تزاني حليلة جارك) (٤) .

واختلفوا في أن اللواطة هل ينطلق عليها اسم الزنا أم لا ؟

فقال قائلون نعم. واحتج عليه بالنص والمعنى ، أما النص فما روى أبو موسى الأشعري رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : "إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان" وأما الأكثرون من أصحابنا فقد سلموا أن اللواط غير داخل تحت اسم الزنا واحتجوا عليه بوجوه : أحدها : العرف المشهور من أن هذا لواط وليس بزنا وبالعكس ، والأصل عدم التغيير ، وثانيها : لو حلف لا يزني فلاط لا يحنث ، وثالثها : أن الصحابة اختلفوا في حكم اللواط وكانوا عالمين باللغة فلو سمي اللواط زناً لأغناهم نص الكتاب في حد الزنا عن الاختلاف والاجتهاد ، وأما الحديث فهو محمول على الإثم بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : "إذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان" وقال عليه الصلاة والسلام : "اليدان تزنيان والعينان تزنيان" (٥) .

وأما قذف المحصنات فهو من الكبائر أيضا ، وقد قال أصدق القائلين في محكم تنزيله : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ❖ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة النور الآيتان/٤ – ٥) وقال أيضاً : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة النور الآية/٢٣) .

وروى البخاري في صحيحه حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : "اجتنبوا السبع الموبقات" قالوا : "يا رسول الله وما هن" ؟ قال : "الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات" (٦) .

(٤) الكتاب : الجامع الصحيح المختصر ، المؤلف : محمد بن إسماعيل البخاري ، باب سورة البقرة ص/١٦٣٦ ج/٤ .

(٥) سورة النور ، التفسير الكبير لفخر الرازي رحمه الله .

(٦) صحيح البخاري، باب رمي المحصنات ، الجزء/٦ ص/٢٥١٥ .

وانّ التعرض لأعراض المؤمنين لأمر من الأمور الدنيوية ، جعل الإله عاقبته أشد إثما وأعظم وزرا ، والزنا إثم يترتب عليه الرجم في المحصن والضرب والتغريب في غير المحصن ، إذ لا ينبغي لأحد من الناس أن يتساهل به بل يلزم عل كل من يرمون بالزنا أن يأتو بأربعة شهداء ، وإن لم يأتوا بما نصت به الآية وهو مستحق للحد الذي هو ثمانين جلدة باتفاق العلماء. وعده سبحانه تعالى من الفاسقين ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي : الخارجون عن طاعة الله ، الذين قد كثر شرهم ، وذلك لانتهاك ما حرم الله ، وانتهاك عرض أخيه ، وإزالة الأخوة التي عقدها الله بين أهل الإيمان ، ومحبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وهذا دليل على أن القذف من كبائر الذنوب.

حدود الزنا :

يقول أحد الأدباء تعليلاً طريفاً لهذا الحكم : إن من هدم بيت الزوجية بزناه أو من هدمت بيت الزوجية بزناها ينبغي أن تنتقم أحجار البيوت كلها من جلده ومن بدنه حتى يتعلم كيف يصون البيت !!

والحد في الزنا يختلف باختلاف المرتكب ، فتارة يكون مائة جلدة إذا كان الزاني بكرا لم يتزوج كما قال تعالى ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (سورة النور الآية/٢) مع التغريب عاما كما قرره جمهور العلماء ؛ إلا أبا حنيفة فإن التغريب عنده يرجع إلى رأي الإمام ، فتارة يكون الرجم إذا كان الزاني الثيب ، ثيبا ، فالثيب : هو كل من تزوج ، ووطئ في نكاح صحيح ، مسلماً ، عاقلاً ، بالغاً ، فإذا تحقق الإسلام ، مع البلوغ ، مع العقل ، مع نكاح صحيح ، ووطءٍ صحيح فإنه يُحْكَم بكون الإنسان ثيباً ، ولو أن رجلاً تزوج امرأة وعَقد عليها ولم يدخل بها ثم زنا قبل الدخول بها ، فإنه لا يزال بكراً ، ولا يُحْكم بكونه ثيباً بمجرد العقد ، فالثيوبة بإجماع العلماء يشترط فيها الدخول ، وبناءً عليه : فمتى تحقق هذا الوصف – وهو كون الزاني ثيباً – فإن الحكم أنه يُرْجَم ، وهذا بإجماع السلف والخلف ، خلافاً للخوارج الذين يقولون : إن الثيب إذا زنا لا يرجم ؛ لأن الله عز وجل أوجب جلد الزاني ولم يوجب رجمه. ونجيبهم : بأن السنة دلت على الرجم ، كما ثبت في الصحيحين ، فحكمه أنه يجلد أولاً ثم يرجم بعد جلده ، وحجة الجمهور في الجلد مع التغريب ما ثبت في الصحيحين "في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

أحدهما يا رسول الله : إن ابني هذا كان عسيفا – أي : أجيرا – على هذا فزنى بامرأته فافتديت ابني بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني مائة جلدة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى : الوليدة والغنم ردا عليك ، وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام ، واغد يا أنيس – لرجل من أسلم – إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها" (٧) أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة وغيره .

وذهب الإمام أبو حنيفة و مالك و الشافعي رحمهم الله ، إلى أن الثيب يرجم ولا يجلد ، واحتجوا بحديث ماعز في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر برجمه ولم يأمر بجلده ، فدلّ على أن الثيب يرجم ولا يجلد ، وهكذا المرأة التي اعترفت بالزنا أمر برجمها ولم يأمر بجلدها ، قالوا : فهذا يدل دلالة واضحة على أن الواجب هو الرجم دون الجلد .

اللعان وما يترتب عليه :

وبعد أن بين الله حكم قذف المحصنات وما يترتب عليه من عقوبة ، لفت نظرنا إلى أمر مهمّ ، فهو القذف من جانب الزوج ، وشرع ذلك في واقعة وقعت في العهد المدني ، ويُرْوَى أن هلال بن أمية ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يا رسول الله إني رأيتُ فلاناً على بطن زوجتي ، فإنْ تركتُه لآتي بأربعة شهداء لقضى حاجته وانصرف ، وإنْ قتلتُه فقد اعتديْتُ عليه (٨) فأنزل الله حلا لهذه المشكلة في محكم تنزيله ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ ۞ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنْ الْكَاذِبِينَ ۞ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ الْكَاذِبِينَ ۞ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنْ الصَّادِقِينَ﴾.(سورة النور الآيات/ ٦ – ٩) .

ولا يحق للزوج أن يتهم الزوجة بالزنا إلا إذا تحقق من ذلك بأن رآها أو تبين زناها ، على خلاف عند العلماء في ضوابط ذلك التبين ، فمذهب بعض العلماء : أنه إذا أخبره ثلاثة ممن يثق بهم ، أو اثنان ممن يثق فيهم

(٧) صحيح البخاري الشروط (٢٥٧٥) ، صحيح مسلم الحدود (١٦٩٨) سنن الترمذي الحدود (١٤٣٣) .
(٨) سورة النور ، تفسير الشعراوي ، للعلامة محمد الشعراوي رحمه الله .

عدالةً وأمانةً وصدقاً ، أن من حقه أن يقذفها بناءً على شهادتهم ، ومن حق الزوج أن يلاعن زوجته في حالتين : الأولى : إذا رأى منها الزنا. الثانية : إذا كان هناك أمرٌ يَخشى منه اختلاط النسب ، كأن تكون المرأة حَمَلت من هذا الزنا والعياذ بالله! فإذا حملت من زناها وجب عليه أن يلاعنها لكي ينفي هذا الولد ، فيبعده عن أن يرثه ويُنسب إليه (٩) .

قضت السنة النبوية أن المتلاعنين لا يجتمعان أبدًا ، فإذا تلاعن الزوجان وقعت الفرقة بينهما على سبيل التأبيد لما روي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المتلاعنان إذا تفرقا لا يجتمعان أبدًا (١٠) وعن علي وابن مسعود قالا : مضت السنة ألاّ يجتمع المتلاعنان (١١) والحكمة في ذلك التحريم المؤبد أنه قد وقع بينهما من التباغض والتقاطع ما أوجب القطيعة بينهما بصفة دائمة ، فإن الرجل إنْ كان صادقًا فقد أشاع فاحشتها وفضحها على رؤوس الأشهاد ، وأقامها مقام الخزي والغضب ، وإن كان كاذبًا فقد أضاف إلى ذلك أنه بهتها وزاد في إيلامها وحسرتها وغيظها (١٢) .

تبرئة أم المؤمنين عائشة الصديقة :

ومن ميزة هذه السورة أن الله سبحانه اختار آياته لتبيّن براءة أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها مما رميت بها ، وذلك حيث قال عالم ما تخفي الصدور جلّ وعلا ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ (سورة النور الآية/١١) إلى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ (سورة النور الآيتان/١٩ – ٢٠) .

أما حادثة الإفك فهي كما نعلم جميعا ، لمن أعظم الحوادث التي وقعت في العصر المدني ، والتي عايش النبي ﷺ أحزانها ، وعايشت أم

(٩) ص/٢٤ ، جزء/٣ تفسير سورة النور لمحمد بن محمد المختار الشنقيطي .

(١٠) ص/٤١٢ ، جزء/٦ ، باب اللعان ، المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى لمحمد ضياء الرحمن الأعظمي .

(١١) ص/١٩٤ ، جزء/١٢ ، باب تفسير سورة النور ، الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي .

(١٢) نتدارس سورة النور ، مقالة عن تفسير العلامة ناصر الدين سعدي .

المؤمنين عائشة رضي الله عنها بلاءها وأشجانها ، وعايش أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كَرْبها. وقد كانت هذه الواقعة حرباً نفسية ضد المسلمين ونبيهم صلى الله عليه وسلم ، وتعد هذه الواقعة من أعظم الابتلاءات والمصائب التي مرت بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وقد تولّى كبره عدوّ الله ورأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، وقد أفشى ما في صدره الخبيث من البغض والعداوة ضد المسلمين ورمى بالإفك العظيم عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وصفوان بن المعطل رضي الله عنه وهو صحابي جليل له فضله ، فإنه لما اتُّهم بأم المؤمنين رضي الله عنه وعنها وأرضاهما ، قال : (والله! ما كشفتُ كنف أنثى).أي : ما زنيت بامرأة قط ، وهذا من عفته رضي الله عنه وأرضاه (١٣) .

وقد كان أثره عظيماً ووخيماً في المجتمع الإسلامي في خير القرون ، وكان المسلمون على طوائف : – منهم من أنكر وكذب إبقاءً لبراءة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها ، ومنهم من حمل الحديث ونقله دون أن يصدقه ولكن كان يشهّر به في المجالس ، ومنهم من سمعه وصدقه.فأصبح الناس ما بين مصدِّق ومكذِّب ، وناقل للحديث (١٤) أخيرا أنزل الله براءتها رضي الله عنها مما رميت به في محكم تنزيله وذلك في سور النور .

التحذير من اتباع خطوات الشيطان :

وبعد هذا يحوّل القرآن انتباهنا إلى أخطر مكائد الدنيا فهي مكيدة الشيطان ، فحذرنا الله تبارك وتعالى عن اتباع سبيل الشيطان ، وأخبرنا عن العاقبة التي ينتهي إليها كل من اتبعه وسار على نهجه وارتضاه ، فقال : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (سورة النور الآية/٢١) .

الشيطان إنما يكيد كيده بالوسوسة ، فهي سبيل الشيطان للإنسان ، ولذلك إذا وقف الإنسان أمام معصية من المعاصي وجد في نفسه دعوة تدعوه إلى تلك المعصية ، وهي لَمَّة الشيطان والعياذ بالله ، ووجد في نفسه ما يزجره عن فعل تلك المعصية وهي لَمَّة الخير التي جعلها الله عز وجل

(١٣) ص/٢ ، جزء/٤ تفسير سورة النور لمحمد بن محمد المختار الشنقيطي .

(١٤) ص/٢ ، جزء/٤ تفسير سورة النور لمحمد بن محمد المختار الشنقيطي

للمَلَك ، ولذلك يعيش الإنسان بين اللَّمَّتين : منهما : لَمَّة الشيطان كما بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله : "فإن للشيطان لَمَّة ، وللمَلَك لَمَّة ، فأما لَمَّة الشيطان : فتسويف بالخير و إيعاد بالشر ، وأما لَمَّة الملك : فنهي عن الشر وايعاد بالخير" (١٥) ، فهاتان لَمَّتان موجودتان في الإنسان. فهذه اللمة الملكية من فضل الله ، ويزكي من عباده من يشاء برحمته وفضله ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا من ربه التزكية من مكايد الشيطان كما صح في حديث مسلم أللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها (١٦) ومن زكى نفسه وتخلى عن مكايد الشيطان وقد وعده الله حسن المآب وجزيل الثواب .

بيان شروط الاستئذان وآدابه :

وكذلك تعلّم الآية الكريمة موضوعا مهمّا ينبغي الاعتبار به في حياة الإنسان الاجتماعية ، فهو الاستئذان ، فهو أدب رفيع وسلوك جميل ، يدل على حياء صاحبه وشهامته ونزاهة نفسه. والآية تؤدّب الصغير والكبير في الدخول والخروج إلى بيوت المسلمين ، وتثبت وجوب الاستئذان ، وتبيّن حدوده وزمانه ، والبيوت التي يجب الاستئذان عند دخولها ، والبيوت التي لا حرج في دخولها من دون استئذان.ويقول الباري جل وعلا ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ❖ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ❖ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ**﴾ (سورة النور الآيات/٢٧ – ٢٩) قال صاحب الكشاف : "وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر – أى الداخل بغير إذن – على عورة ، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط ، وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التى يطويها الناس فى العادة عن غيرهم ، ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ، ولأنه تصرف فى ملك غيرك ، فلا بد من أن يكون برضاه ، وإلا أشبه الغصب والتغلب" (١٧) .

(١٥) ص/٦ ، جزء/٣ تفسير سورة النور لمحمد بن محمد المختار الشنقيطي

(١٦) رقم الحديث/٧٠٨١ الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري . (١٧) سورة النور ، التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي .

غضّ البصر :

ثم تؤدب الآية الكريمة المجتمع الإسلامي أدبا آخر من حياة الإنسان فهو غض البصر عن المحرمات والمغريات إليها ، فإن الإنسان إذا أرسل عينه تتلصص على الأعراض من هنا أو من هنا فإنه يفتح أبواب الشر على نفسه ، وقد قال شاعر قديما :

والـمرء مـا دام ذا عين يقلبهـا
في أعين الغيد موقوف على الخطر

إنّ فتحَ باب الفتنة أكثر ما يكون بالعين والنظر ؛ ولذا تأمر الآية الكريمة المسلمين بغض البصر عن المحرمات ، لأنه مَن الذي يعلم خائنة الأعين ؟ ويقول المولى جل وعلا : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ❖ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾ (سورة النور الآيتان/٣٠ – ٣١) ، ومعنى هذا أن جسد المرأة عورة ينبغي أن يُوارى ما عدا الوجه والكفين ، فلا يجوز أن تلبس ملابس تصف البدن أو تشف عن مفاتنه أو تغري العيون الجائعة باستدامة النظر إليه فإن هذا كله فتح لباب الفتنة .

الله نور السماوات و الأرض :

إنّ المحققين من أهل السنة والجماعة أثبتوا أن الله سبحانه وتعالى ، في نفسه نور ، وسمى نفسه نورا ، وصفته النور ، ومنه النور ، والمنور لغيره هو : نور ، وكل ذلك – كما تقدم – ثابت في الكتاب ، والسنة ، وأقوال الأئمة ؛ فهو نور ، لكنه سبحانه ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ فهو نور لا كالنور المخلوق ، نور يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، نور يليق بالخالق ، ومختلف عن نور المخلوق الذي هو خالقه سبحانه ، والذي أخبرنا بهذا هو سبحانه ، وأخبرنا بذلك رسوله الذي هو أعلم خلقه به (١٨) .

ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجيرنا من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

(١٨) مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد رقم الجزء/٧٥ ص/٢٤٩ http://www.alifta.com .

دراسات وأبحاث :

شرح قصيدة : "الكواكب الدرية

في مدح خير البرية" المعروفة (بالبردة)

(الحلقة الخامسة)

بقلم :الأستاذ الدكتور غريب جمعة *

أستغفر الله من قول بلا عمل لقد نسبتُ به نسلاً لذي عصم (١)

---

(١) قوله " أستغفر الله الخ" لما كان المصنف معترفاً بأنه غير عامل بقوله ، وقدقال تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف الآية/٣) استغفر من ذلك حيث قال : أستغفر الله ... الخ ، والمقصود من قوله أستغفر الله الإنشاء ، وهو يطلب مفعولين ، ثانيهما مجرور بـ "من" كما هنا ، ويجوز حذف من استغفر الله ذنباً ، أي من ذنب ، "وقوله من قول بلا عمل" أي من تحول مصحوب بعدم العمل أو متلبس بعدم العمل ، فالباء للملابسة أو للمصاحبة ، ومن للتعدية أو للتعليل ، وذلك كأن يأمر ولا يأتمر ، وينهى ولا ينتهي .

وظاهر كلام المصنف : أن الاستغفار عن القول المذكور ، و وجهه بعضهم بأن المتبادر من الأمر والنهي أن يكون الشخص مؤتمراً بما أمر به منتهياً عما نهى عنه ، فإن لم يكن كذلك في الواقع كان أمره ونهيه رياءً ونفاقاً ، فيحتاج للاستغفار منه ، وبعضهم جعل الاستغفار منصباً على القيد فقط ، أعني عدم العمل ، لأن القول في ذاته طاعة ، فلا يحتاج للاستغفار منه ، وعدم العمل ترك طاعة فيحتاج للاستغفار منه ، وهذا هو الموافق لمذهب أهل السنة ، من أنه لا يتوقف الأمر والنهي على العمل بهما ، لأن عدم الأمر والنهي معصية ، وعدم العمل معصية أخرى ، وتقليل المعاصي مطلوب ما أمكن ، ولذلك قالوا : يجب على مديري الكأس الإنكار على الجلاس ، ويجب على الزاني بامرأة أن يأمرها بستر وجهها ، ومن هذا يعلم أن العالم الذي لا يعمل بعلمه خير من الجاهل ، وأما قول صاحب الزيد :

وعالم بعلمه لا يعملن معذب قبل عباد الوثن

فمحمول على علماء أهل الكتاب ، الذين غيروا وبدلوا وكتموا الحق ، وقيل : إن –

---

* جدة – المملكة العربية السعودية .

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقم (٢)

– تعذيبه من قبل عباد الوثن ليس لكونه أسوأ حالاً منهم ، بل للإسراع بتطهيره ، وقوله "لقد نسبت به نسلا لذي عصم" مستأنف استئنافاً بيانياً لأنه واقع في سؤال جواب مقدر ، فكأنه قيل : لم استغفرت من ذلك القول ؟ فقال : لقد نسبت به نسلاً لذي عصم أي لقد نسبت بهذا القول نسلاً وهو الذرية لشخص صاحب عقم بضم القاف كما هو لغة في العقم بسكونها ، وليس جمع عقيم لأن إضافة "ذي" إليه تمنع من ذلك ، لا يقال إن المصنف لم يقع منه نسبة نسل لذي عقم فكيف يقول : لقد نسبت نسلاً الخ ؟ لأنا نقول : المعنى على التشبيه أي كأني قد نسبت به نسلاً ، و وجه ذلك أن المتبادر من الأمر والنهي أن يكون الآمر والناهي مؤتمراً منتهياً ، فذلك القول يتضمن نسبة العمل إلى القائل فإذا كان بلا عمل فقد أشبه نسبة النسل لذي عقم وهو الذي لا يولد لمثله وذلك كذب يستغفر منه فكذا ما أشبهه ، وهذا يؤيد أن الاستغفار من القول المذكور ، وفي ذكر فضل الاستغفار طول يخرجنا عن المقصود ، وما أحسن قول القائل :

ولو أن فرعون لما طغى وقال على الله إفكاً وزوراً

أناب إلى الله مستغفراً لما وجد الله إلا غفوراً

(٢) قوله "أمرتك الخير ، الخ" هذا البيت بيان للبيت الذي قبله ، و "الأمر" يتعدى لمفعولين ثانيهما بنفسه تارة كما هنا وبالباء تارة أخرى كما في قولك : "أمرت زيداً بكذا" ومراده بالأمر ما يشمل النهي ، كما في قولهم أمر السطان أن لا يؤذي أحد أحداً وأن يجامل في المعاملة ، فاندفع ما يقال لما خص الأمر بالذكر ، مع أنه سبق منه أمر ونهي ؟ والمراد أمرتك بفعل الخير ونهيتك عن تركه ، والخير له عاقبة محمودة .

وقوله "لكن ما ائتمرت به" أي لكن ما عملت به ، وقوله "وما استقمت" أي بفعل المأمورات وترك المنهيات لأن الاستقامة هي الاعتدال وعدم الاعوجاج ، وذلك يكون بفعل المأمورات وترك المنهيات .

وقد أمر الله نبيه ﷺ بها في سورة هود ، فقال تعالى ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (سورة هود الآية/١١٢) ولذلك قال ﷺ : "شيبتني هود وأخواتها" (١) وقيل : قال ذلك لما فيها من الأخبار عن هلاك الأمم –

---

(١) رواه ابن مردويه في تفسيره ، ولفظه : قيل يا رسول الله ! أسرع إليك الشيب ؟ قال : شيبتني هود والواقعة وأخواتها" . وفي سنن الترمذي والحلية عن عبد الله بن عباس : قال أبو بكر : يا رسول الله قد شبت ؟ قال : "شيبتني هود والواقعة والمرسلات ، وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت ، وصححه الحاكم ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده ورواه أبو يعلى ، وله ترجمة حافلة في كشف الخفاء ومزيل الإلباس فارجع إليه .

ولا تزودت قبل الموت نافلة ولم أصلِّ سوى فرض ولم أصم (٣)

– الماضين ، وقوله : "فما قولي لك استقم حيث لم أستقم ؟ والاستفهام إنكاري بمعنى النفي ، أي لا ثمرة له ولا فائدة له ، فإنه لا ينفع غالباً إلا إذا استقام القائل ، ولذلك قيل في هذا المعنى (وهو من أروع ما قيل) :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فإن قيل : لم يتقدم أمر منه بالاستقامة حتى يظهر ذلك قوله : فما قولي لك استقم ؟ أجيب بأنه تقدم ضمناً ، لأنه يعلم من كلامه السابق .

(٣) قوله "ولا تزودت قبل الموت الخ" المراد بالتزود هنا العمل ، وإنما عبر بالتزود لكون الموت سفراً طويلاً محتوياً على الأهوال والمشاق ، والسفر المذكور يناسب التزود ، قال تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة الآية/١٩٧) والذي عليه المحققون من المفسرين : أن المراد بالتزود أخذ الزاد الذي هو ما يوصلهم لمقصودهم ، والمراد بالتقوى في هذه الآية ما يتقى به ذل السؤال ، وقوله : "نافلة أي مستقلة فاندفع ما يقال : إن الفرائض مشتملة على النوافل فلا يتم قوله "ولا تزودت قبل الموت نافلة" مع كونه كان يفعل الفرائض ، وقد اشتهر أن النافلة يجبر بها ما نقص من الفرائض ، لكن نقل القرطبي في "التذكرة" عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أن ذلك فيما نقص من الفرائض سهواً ، وأما ما نقص منها عمداً فلا يجبر بالنافلة وإن كثرت جداً ، وقوله : "ولم أصل سوى فرض ولم أصم" إنما خص الصلاة والصوم بالذكر لأنهما محض عبادة بدنية ، وإنما سكت عن الإيمان لأنه لا يتنفل به ، وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الأول أي ولم أصم سوى فرض ، لا يقال : يبعد أنه لم يقع منه صلاة السنن كالوتر وغيره ، وصوم السنن كصوم عاشوراء وغيره ، لأنا نقول : إنما نفى ذلك تنزيلاً لما فعله من النوافل منزلة العدم ، لاتهامه نفسه في الإخلاص فيه ، وما قيل من أنه كان إذا صلى نافلة نذرها أو صام نفلاً نذره فهو بعيد .

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى إن اشتكت قدماه الضر من ورم (٤)
وشد من سغب أحشاءه وطوى تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم (٥)

---

(٤) قوله "ظلمت سنة من الخ" هذا تخلص للشروع في المقصود ، وهو مدحه ﷺ ولم يشرع فيه إلا بعد الوعظ والاستغفار والذم تأهلاً لمديح هذا الجناب الشريف ، ولما أخبر عن نفسه بما أخبر من كثرة التفريط وأخبر بأنه لم يتزود من النافلة ، حكم بأنه ظلم سنة سيد المرسلين ، أي جار فيها ووضعها في غير موضعها ، لأن الظلم هو الجور ووضع الشيء في غير محله ، والسنة لغة : الطريقة ، وشرعاً : الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب ، و "من" واقعة على نبي هو نبينا محمد ﷺ ، وقوله "أحيا الظلام" أي أنار الليل المظلم بالصلاة ، فالمراد بالظلام المظلم ، والمراد بإحيائه إنارته بالصلاة إذ العبادة كما تؤثر النور في وجه العابد ، تؤثره في زمنها ، ولا يخفى أن في الكلام استعارة تصريحية تبعية أو استعارة مكية ، فيكون قد شبه الإنارة بالإحياء بجامع النفع في كل ، واستعار الإحياء للإنارة ، واشتق من الإحياء بمعنى الإنارة ، أحيا بمعنى أنار أو شبه الظلام بمعنى الليل المظلم بميت يحيا تشبيهاً مضمراً في النفس ، وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإحياء ، وقوله : "إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم" أي واستمر إحياؤه ﷺ للظلام إلى ذلك ، فهو غاية في الإحياء ، لكن لا مفهوم لهذه الغاية ، واشتكاء القدمين كناية عن شدة الألم الحاصل لهما من كثرة القيام على وجه المبالغة ، والورم ازدياد الحجم على غير اقتضاء طبيعي ، وسبب ورم القدمين من كثرة القيام انصباب المواد التي في أعالي الجسم إليهما لطول القيام فإنه ﷺ ، وإن لم يكن يزيد في الليل عن اثنتي عشرة ركعة لكن كان يطيل القيام فيها ، وقد روى المغيرة أنه ﷺ أطال حتى تورمت قدماه فقيل له : تتكلف ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : "أفلا أكون عبداً شكوراً" وفي رواية أنه قال له : "أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً" فأنزل الله سبحانه ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ (سورة طه الآيتان/١ – ٢) ، وفي هذا البيت من مزيد من التقريع لنفسه فكأنه يقول لها : ما بالك في هذا التقصير وعدم الاقتداء به ﷺ في كثرة عبادته وغلبة طاعته ، ولهذا اختار هذه الصفة من بين الصفات .

(٥) قوله "وشد من سغب" عطف على "أحيا الظلام" إلخ ، فهو عطف على الصلة فيكون صلة ، وإنما أتى بذلك نظراً لقوله في البيت السابق "ولم أصم" عقب قوله "ولم أصل سوى فرض" ، وبهذا أظهر حكمة تخصيصهما فيما تقدم ، والشد : العصب والربط ، والسغب : بسين مهملة وغين معجمة : الجوع ، "ومن" الداخلة عليه للتعليل أي عصب وربط من أجل الجوع ، وقوله : "أحشاءه" مفعول لشد ، والأحشاء جمع حشي وهو كما في الصحاح ما انضمت عليه الضلوع ، وقيل :–

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم (٦)

– القلب وقيل : الأمعاء .

وفائدة هذا الشد انضمام الأحشاء على المعدة ، فتخمد الحرارة بعض خمود ، لأن المعدة إذا امتلأت بالطعام اشتغلت الحرارة بهضمه ، وإذا خلت عن الطعام طلبت رطوبة الجسم فيتالم الإنسان وبالشد تضعف تلك الحرارة ، وقد روى الشد مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال : "جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فقالوا : من الجوع" .

وقوله "وطوى تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم" عطف أيضاً على الصلة ، والطي : اللف ، والكشح : الخاصرة ، والمترف الناعم من الترف وهو النعومة المفرطة ، والأدم : الجلد ، أي ولف تحت الحجارة خاصرة ناعمة الجلد نعومة مفرطة .

وفائدة هذا الطي : أن برودة الحجارة تخفف حرارة الباطن ، وقد روى البخاري الطي عن جابر قال : مكث ﷺ لم يذق الطعام ثلاثاً ، وهم يحفرون الخندق ، فقالوا : يا رسول الله ﷺ : إن ها هنا كدية من الجبل (بضم الكاف وسكون الدال ، أي الشيء الصلب بين الحجارة والطين) قد عجزت معاولنا عنها فقال رسول الله ﷺ : رشوها بالماء فرشوها به ثم جاء رسول الله ﷺ فأخذ المعول ثم قال : بسم الله ، فضرب الكدية .

قال جابر : فحانت مني التفاتة ، فإذا رسول الله ﷺ قد شد حجراً على بطنه .

واستشكل ما ذكر من الشد والطي بقوله ﷺ : "أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني" لأن من هذا حاله لا يعصب أحشاءه ويطوي كشحه تحت الحجارة من الجوع ، وأجيب بأن معنى الحديث "أبيت مستحضراً جلال ربي فيعطيني قوة الطاعم الشارب" والمراد بذلك أنه ضمن له قوة بدنه ، ونضارة جسمه حتى إن من رآه لا يظن به جوعاً ولا عطشاً كما أشار إلى ذلك الناظم بقوله "مترف الأدم" فهو من قبيل الاحتراس ، وحينئذ فحصول الجوع له ﷺ لا ينافيه الإطعام في الحديث .

(٦) قوله "وراودته الجبال .. الخ" لما كان قد يتوهم من قوله "وشد من سغب .. الخ" أنه ﷺ كان قليل المال ، دفع ذلك التوهم بقوله "وراودته الجبال الخ" والمراودة : المطالبة ، يقال راوده : أي طلب منه أن يكون على مراده ، وإسناد المراودة للجبال مجاز ، لأن الله هو الذي خير في ذلك ، ويحتمل أن يكون حقيقة إذ لا مانع من أن يخلق الله فيها إدراكاً ، وتراوده حقيقة ، وال في الجبال للعهد الذهني ، والمعهود هنا هو جبال مكة كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة ، فقد روي أنه ﷺ قال : "عرض علي ربي بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يا رب ، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً –

وأكدت زهده فيها ضرورته إن الضرورة لا تعدو على العصم (٧)

– فإذا شبعت حمدتك وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك" (٢) .

وروى أن جبريل عليه السلام نزل عليه ﷺ فقال له : إن الله يقرئك السلام ، ويقول لك : أتحب أن تكون لك هذه الجبال ذهباً وفضة ، تكون معك حيثما كنت ، فأطرق ساعة ثم قال : يا جبريل ! الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، يجمعها من لا عقل له" (٣) فقال له جبريل : "ثبتك الله بالقول الثابت" .

وقوله "الشم" : أي المرتفعة وهي جمع أشم ، مشتق من الشمم ، وهو الارتفاع ، وقوله :من ذهب" أي أن تكون من ذهب فهو خبر لتكون المحذوفة ، وليس حالاً خلافاً لبعضهم لأنها لم تكن من ذهب حين المراودة ، وإنما طلبت منه أن تكون كذلك ، وقوله : "عن نفسه ، أي من أجل نفسه فعن للتعليل ، وقوله "فأراها أيما شمم أي فأراها شمما أيما شمم أي شمما عظيماً أي إعراضاً شديداً ، علماً منه بأن ما عند الله خير وأبقى .

(٧) قوله "وأكدت زهده فيها الخ" التأكيد : التقوية ، الزهد : ترك الشيء وقلة الرغبة فيه ، والضمير المجرور بفي راجع للجبال التي تكون من ذهب ، وبعضهم جعله راجعاً إلى الدنيا ، والأول أولى لعدم تقدم ذكر الدنيا ، وإن كانت معلومة من المقام ، والضرورة : شدة الحاجة ، ولا يخفى أن زهده مفعول مقدم ، وضرورته فاعل مؤخر ، وإنما أكدت ضرورته زهده فيها ، لأن الإعراض عن الشيئ وقله الرغبة فيه مع شدة الاحتياج إليه دليل جلي وبرهان قطعي على الزهد في ذلك الشيئ ، وقوله : إن الضرورة الخ ، مستأنف استئنافاً بيانياً لكونه واقعاً في جواب سؤال مقدر ، فكأنه قيل له : كيف تؤكد ضرورته زهده فيها مع أن الضرورة تقتضي الإقبال عليها وعدم الإعراض عنها ؟ فقال : إن الضرورة .. الخ ، وقوله : لا تعدو على العصم : أي لا تتعدى عليها ، يقال : عدا عليه أي تعدى عليه ، وفي كلامه حذف مضاف ، أي على ذوي العصم وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : هذا إذا قرئ العصم بكسر العين وفتح الصاد كما هو المشهور على أنه جمع عصمة ، فإن قرئ العصم بفتح العين وكسر الصاد كما استصوبه ابن مرزوق على أن أصله–

(٢) رواه الإمام أحمد والترمذي .

(٣) رواه الإمام أحمد والبيهقي عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم (٨)

– عصيم بمعنى معصوم حذفت ياؤه للضرورة ، فلا حذف في كلامه ، وعلم بذلك الفرق بين ضرورة من عصمه الله تعالى وضرورة غيره ، لأن ضرورة من عصمه الله تعالى لا تدعوه إلى أحسن الأشياء فضلاً عن أخسها ، وضرورة غيره تدعوه إلى أخسها حتى إنها تبيح له تناول ما لا ينبغي تناوله ، ولو كان محرم الأصل كالميتة ، وفي كلام المصنف إشارة إلى جواز وصفه ﷻ بالزهد ، وهو الحق خلافاً لمن منعه معللاً بأن الزهد في الشيئ فرع عن التعلق به ، لكن قد عيب هذا البيت والذي بعده في إثبات الضرورة له ﷻ ، مع أنه لم يثبت عليه الصلاة والسلام أصل الحاجة فضلاً عن الضرورة ، وما أحسن قوله في الهمزية :

مستقل دنياك أن تنسب الإمساك منها إليه والإعطاء

(٨) قوله "وكيف تدعو الخ" استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا تدعو ، الخ" والدعاء : الطلب والميل ، وقوله "إلى الدنيا" متعلق بتدعو ، والدنيا صفة في الأصل ثم نقلت إلى الاسمية فجعلت اسماً لهذه الدار التي نحن فيها ، وقد تطلق على أعراضها وزخارفها من المال والجاه وما أشبههما ، وهذا هو المراد هنا ، وقوله "ضرورة من" أي ضرورة نبي أو رسول و "من" واقعة على نبي أو رسول ، وقد تقدم الكلام على الضرورة ، وقوله "لولاه لم تخرج الدنيا من العدم" ببناء الفعل وهو تخرج للمفعول أو للفاعل ، وإن اقتصر بعضهم على الأول أي لولا وجوده ﷻ لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد ، فوجوده ﷻ علة وجودها فلو كانت ضرورته تدعو إلى الدنيا لكان وجوده معلولاً لوجودها ، وهو خلق ، والأصل في ذلك ما رواه الحاكم والبيهقي من قول الله تعالى لآدم لما سأله بحق محمد أن يغفر له ما اقترفه من صورة الخطيئة ، وكان رأى على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله : "سألتني بحقه أن أغفر لك وقد غفرت لك ، ولولاه ما خلقتك" فوجود آدم متوقف على وجوده ﷻ ، وآدم أبو البشر وقد خلق الله لهم ما في الأرض وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك كما هو نص القرآن ، قال الله تعالى : ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ (سورة البقرة الآية/٢٩) ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (سورة إبراهيم الآية/٣٣) وإذا كانت هذه الأمور إنما خلقت لأجل البشر ، وأبو البشر إنما خلق لأجله ﷻ ، كانت الدنيا إنما خلقت لأجله ﷻ فيكون هو السبب في وجود كل شيء .

على هامش التفاسير

للسيد إسماعيل شهاب الدين

بقلم : الدكتور عبد الله كويا تنغل *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فقد أنجبت الهند عباقرة كثيرين من العلماء الذين أغنوا المكتبة العربية الإسلامية بمؤلفاتهم القديمة ، وجعلوا الهند تستحق أن تفتخر بأعمالهم النفيسة ، فهناك كثير من أبناء بلادنا الذين ألفوا قديماً وحديثاً في مختلف العلوم والفنون مثل التفسير والحديث والتاريخ والفلسفة والتصوف ونحوها ، ومن أجل العلماء المعاصرين الذين لهم يد غير مجحودة في إثراء اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية : السيد إسماعيل شهاب الدين فوكويا المليباري المعروف بفانور تنكل ، الذي قضى حياة جادة في اكتساب العلوم وتدريسها وتأليف الكتب .

حياته :

ولد السيد شهاب الدين فوكويا سنة ١٩٣٤م بقرية تالانكارا بمقاطعة كاسر كوت ، ابنا للسيد حسين كنج كويا تنكل والسيدة فاطمة كنج بيفي ، وتلقى العلوم الابتدائية من أبيه ، ثم التحق بدروس المساجد المختلفة مثل كاسر كوت وأوضال وغيرها ، ثم ارتحل إلى دار العلوم ديوبند للدراسات العليا ، وكان مدرساً في باراكاداو وبايولي وتلبرمب وأومداجابوزا ، وامتور ، ثم أسس جامعة الزهراء في بانور بمقاطعة كانور ، وكان مديراً لهذه الجامعة إلى أن لبى نداء ربه عام ٢٠١٠م .

مؤلفاته :

١- على هامش التفاسير في سبعة مجلدات .

* استاذ مساعد ، الكلية الحكومية ب ت م ، برنتلمنا – كيرالا .

٢- المدارج في تقرير الغاية والتقريب في الفقه .
٣- نقاط من تاريخ الإسلام مع تعليقات شذرات الذهب .
٤- الكلام في شرح العقائد النسفية .
٥- المنطق في شرح التهذيب .
٦- النبراس في المسلك الفقهي الجزء الأول والثاني والثالث .
٧- شذرات الذهب .
٨- صفوة الكلام في مبادئ عقائد الإسلام .
٩- أدب المسلم .
١٠- الدروس في حروف الهجاء .
١١- الدروس في تركيب الألفاظ .

كتابه على هامش التفاسير :

ألف رحمه الله هذا الكتاب العظيم الذي يشتمل على سبعة مجلدات في زهاء ٤٠٠٠ صفحة تعليقاً على تفسير الجلالين الذي ما زال ولا يزال يدرس في المعاهد الإسلامية في داخل كيرالا وخارجها ، ربما لم يسبقه أحد من أبناء كيرالا إلى التأليف في هذا الفن في اللغة العربية .

وقد وضح المؤلف في مقدمة هذا الكتاب سبب تأليف هذا الكتاب حيث قال : "وكنت خلال إملائي تفسير كلامه تعالى عز شأنه يواجهني طلبُ بعض محبي العلم وإلحاحهم : بأن أؤلف ذلك ككتاب مستقل في التفسير : ولما لم أجد بداً من إسعافهم تمشيت قليلاً ومن طرف آخر يثبطني عن الإقدام في هذا الشأن إذ رأيت أن كتب التفاسير لقد كثرت حتى وصلت إلى اللانهائية بين مجلدات ضخمة ومختصرات موجزة في شتى أنواع علوم القرآن ولا يرجع إليها أحد إلا من وفق ولا يستندها أحد إلا من له عناية من الله تعالى .

ولقد وجدت : "تفسير الجلالين" من أئمة الهداة ، والأعلام المتقنة في العلوم الإسلامية ، وقد حظي بوافر حظ لم يكن لتفسير آخر مثله موهبة إلهية يتحلى بها من اختاره من عباده ولنجدن أنه تلقى ذلك التفسير أجل تفسير مختصر ألف في تفسير القرآن ، وأن رواد العلوم من سكان الأرض يكبون عليه قديماً وحديثاً بلا مبالاة بالهجومات التي يشن عليه الناقدون

حتى صار مرجع فحول العلماء ونبغائهم ، ولكن لا يستأهل لمراجعته أحد ، ولا لتعلمه إلا من عند عالم له باع طويل في هذا المجال ، لذا لفتُ نظري : إلى أن أربط هذا التفسير بتفسيرهما ؛ كأنه تعليقات على هامشه خاصة ، وعلى سائر التفاسير على وجه العموم – كما أن اسمه "على هامش التفاسير" رجاء من الله تعالى : أن أتشرف بالتعلق بأذيالهما ، والتبرك بمسلكهما ، وأن ينتفع بهذا التفسير للدراسات العليا خلال مراجعة تفسيرهما ؛ فجعلت بعض ما أمليته أربط بتفسيرهما في موضع يناسبه .

ويبين الشيخ رحمه الله أن من الأسف تدخل مقالات واهية ، بل إسرائيلية تشوه وجه الإسلام السمحة البيضاء وتهيء الفرصة لهجوم أعداء الإسلام على صاحب الشريعة ، وعلى ما جاء به ، ويسرد مثلا قصة تعلق النبي ﷺ بزينب وقت رؤيته إياها وقصة الغرنوق ، وينكر على هذا أشد الإنكار ويهاجم على هذه الافتراءات والأكذوبات مراعياً التأدب مع المفسرين الأعلام الذين حكوا هذه القصص الواهية .

ويقول في مقدمة تفسيره مبيناً أهمية تأليف جديد في علم التفسير ، "والتفاسير" وإن كثرت ؛ لا يفي بمحتويات إشارات كلامه تعالى ؛ كما أنه بحر زاخر تتلاطم أمواج دره ، ومكامن سره يلح بالطلب ؛ أخلاقياً ، ومادياً ، واكتشافياً ؛ وعلمياً واقتصادياً ، ولا يختبئ وراء مغارات الظلام ، ولتجدن فيه لأي متمنيات ومتطلبات فرجاً ومخرجاً ؛ ولكن من الفواحش : التدخلات اللامعقولية بسبب التفسير بالرأي من ناحية ، والأحاديث الواهية ، والموضوعات اللاسلامية من ناحية أخرى ، فحق محتوم على كل طالب علم اكتشاف الحقائق ، والتفطن لهذا الأمر المخاطر ؛ قبل الأخذ والقول به ، ويوضح أن كثيراً من العلماء العصريين تصدوا لتفسير كلام الله تعالى فمنهم من اقتصد ومنهم من تأدب و ورع ، وسلك مسلك الأسلاف : ومنهم من حبب إليه التجديد ؛ تقرباً للماديين ؛ إتيان كل شيئ من جديد ، ليستشرف الناس إلى كلامه في تفسيره ، وحمل – بسخرية واستهزاء وبما يستهجن التصريح به – على العلماء النابغين من الأئمة العظام : حملة شعواء ، كأن وحياً يأتيه ، ويتساءل المؤلف رحمه الله منكراً هل هو إلا عبث بكتاب الله تعالى وثرثرة الصرار في غبش الليل ! يبتغي تأويله بما زينت له

نفسه الصفراوية المريضة ؟ لتمتد به أيدي الرضى والابتسام من الفكرة الماسونية ، والاستعمارية أعداء الإسلام ، وهل هو إلا نطح البعوض جبلاً عاتياً ليرجع مدمياً خرطومه !

وقد استند في اختيار نسخة "تفسير الجلالين" على "قرة العين" على "تفسير الجلالين" لأن صاحبه ادعى : أن النص الذي حققه يعتبر أصح ما يمكن أن يتوصل إليه التحقيق وأنه باستطاعته أن يصحح جميع الطبعات الأخرى بناءً عليه ، وقد وضح المؤلف كلام الله تعالى في أعلى الصفحة وتفسير الجلالين بخط فاصل وتحته التعليقات كذلك .

ويبين المؤلف رحمه الله أن الهدف الأصيل في إملاء هذا التفسير كان إثارة النهضة الفكرية – فكرة الإسلام – التجوال في علوم القرآن ، والحديث ، تحت أضوائهما ؛ لا كيفما اتفق ، لا بالفكرة المنحرفة ، والعقلية العقلانية ، بل أمة وسطاً يهدي إلى سبل الرشاد المنهج القويم ؛ حتى يكون منهلاً يرد تلقاء ماء مدين مآرب .

ولفت نظر النشء الجديد : الجيل المستقل ، الرصيد المنتظر إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وبعقلية إسلامية صحيحة ، حتى يتاح لهم تقويم الكلام والمباحث على أحدث وجه ، وأسلم طريق .

ومن أهم المراجع التي اعتمد عليه المؤلف تفسير ابن كثير وتفسير روح المعاني وأضواء القرآن للشنقيطي وأساس التفاسير وظلال القرآن وغيرها ينقل من عباراتهم حيناً خلال السطور كلاماً في الموضوع بغير ذكر المراجع ، لأن الأكثر من إملاءاته كانت من ذاكرته ، فيفقد شيئاً حيناً ويضم مكانه حيناً آخر ، ويجدر بنا الإشارة إلى أن مقتطفاته من ظلال القرآن كانت كثيرة .

وفي الجملة ان لكتاب "على هامش التفاسير" مميزات كثيرة تؤهله أن يحتل مكانة مرموقة بين أوساط الكتب المؤلفة في تفسير القرآن الكريم قديماً وحديثاً ، وأن مؤلفه كتب بصراحة الآراء التي ما جاءت في كتب التفاسير الحديثة .

❖❖❖

دراسة تحليلية نقدية
لستة كتب أردية قيمة في السيرة النبوية
(الحلقة الأولى)

بقلم : الدكتور غطريف شهباز الندوي ❖

(دراسة تحليلية نقدية لعدد من مؤلفات السيرة النبوية من حيث دورها في بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة ، والموضوع يشتمل على مقدمة ، وبحث وخاتمة) .

المقدمة : السيرة النبوية العطرة مصدر كبير لبناء الشخصية الإسلامية وهو تراث إسلامي مقدس لم يعهد التاريخ البشري كله تراثاً أعظم ثراء وأكبر غناء وأكثر ثقة منه ، وهو النموذج العملي الذي مثّله رسول الله (ﷺ) على أرض الواقع كما أنه يرسم لنا منهج حياة شاملة.، وهناك كتب كثيرة – ما بين صغير وكبير – كتبت في شبه القارة الهندية وتركت أثراً بعيد المدى على تكوين وإيجاد الشاكلة الإسلامية وتطوير الحياة المتجددة وإنماء العقلية الناهضة على منهج إسلامي ثابت ، وأخص منها بالذكر بعض الكتابات مما لها قيمة علمية وأسلوب بليغ مؤثر يربي العقول ويغذي الفكر وينمي الوجدان ويهذب الأخلاق ويبني الشخصية الإسلامية السليمة ، وهذا البحث المشتمل على مقدمة ومادة البحث الأصلية وخاتمة يحاول محاولة حثيثة جادة لدراسة تحليلية نقدية لهذه الكتب والمؤلفات الستة التي ألّفت حول السيرة النبوية في شبه القارة الهندية .

منهجية البحث : واتخذت في كتابة هذا البحث المتواضع منهجية المراجعة إلى المصادر الأصلية وقرائتها قراءة واعية وبدقة وإمعان ، ثم أخذ النتائج بنظرة علمية حيادية متحررة ، وأثبتت كافة الحواشي والمصادر في آخر المقال كما هو عادة متبعة في الأوساط العلمية المثقفة على الصعيد العالمي ، ولكن قبل الخوض في صميم الموضوع يجدر بنا أن نلقي نظرة

❖ باحث وصحفي وكاتب ومدير مؤسسة الدراسات الإسلامية بنيو دلهي C-303/3 شاهين باغ جامعة نغر نيو دلهي ، و يمكن الرجوع إليه على الإيميل التالي mohammad.ghitreef@gmail.com .

عابرة على الدراسات في السيرة النبوية التي تمت في شبه القارة الهندية ، حتى تتضح أمامنا النقاط المهمة واضحة جلية .

استعراض سريع لكتب السيرة في شبه القارة الهندية :

إنه قد تم أثناء القرنين الماضيين من الزمن عمل وجيه للغاية كماً وكيفاً في شبه القارة الهندية ولا يدانيها في ذلك بلد من البلدان الإسلامية ، وذلك على الرغم من أن التقاليد العلمية في مسلمي شبه القارة الهندية كانت إلى مدة طويلة تدور حول الشكليات والمباني اللفظية ، ولكن العمل العلمي الذي تم في القرنين التاسع عشر والعشرين قد استدرك ما فاتنا في زمن من الأزمان بهذا الخصوص ، حتى إن الأعمال في السيرة النبوية وعلومها التي أنجزت هنا تفوق كما وكيفا أعمال العالم العربي بأجمعه على نشاطه العلمي المبارك الذي نراه فيه اليوم عامةً ، ومن الكتب الأولية الجامعة التي ألفت قديماً في شبه القارة الهندية في السيرة النبوية مدارج النبوة للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي ١٥٥١ – ١٦٤٢م (١) وكان في اللغة الفارسية ، لغة القارة الهندية الرسمية آنذاك ، وهو مقسم في أجزاء خمسة ، ونقل إلى اللغة الأردية فيما بعد ، ثم جاء ت رسالة في إثبات النبوة : وهوكتاب كلامي في الأصل تحدث فيه مؤلفه الإمام أحمد السرهندي الملقب بمجدد الألف الثاني (٢) في تاريخ القارة الهندية ، كتبه لمواجهة فتنة الإلحاد وتيار الانحراف الألفي المتمثل في ظاهرة "الدين الإلهي" الذي كان يتزعمه الملك المغولي الأمي "أكبر" وجره إلى هذا الانحراف بعض علماء السوء فأثيرت

(١) انظرللمعلومات عن الشيخ عبد الحق المحدث وأعماله : ١ أبوالحسن علي الحسني الندوي رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، المجلدالثالث ، دارالقلم دمشق ٢٠٠٢م ، ٢ Syeda Zille June 19, 2005 / Jummad - A - Alaula Humma Qadri ,Shaykh Abdul Haq Muhaddith Dehlawi . 12, 1426I ECRC news letter, Issue 8

(٢) انظر لحياة الشيخ أحمد السرهندي وأعماله ١- أبوالحسن علي الحسني الندوي رجال الفكر والدعوة في الإسلام المجلد الرابع ، دارالقلم للنشروالتوزيع دمشق طبع ٢٠٠٢م ٢- عبد الحق الأنصاري Sufism and Shariah: A Study of Shaykh Ahmad Sirhindi's Effort to . Reform Sufism, The Islamic Foundation, Leicester, U.K. 1985

شبهات وشكوك حول الرسالة المحمدية والنبوة المصطفوية ، ففي هذه الخلفية ظهر الإمام السرهندي وقاوم وحيدا هذه التيارات الجارفة وتحدث في رسالته هذه عن صلاحية الرسالة الإسلامية والنبوة المحمدية لكل زمان ومكان ، وقام في هذا الكتاب بمكافحة الحركة الألفية وزيغها وضلالها ، والتي كانت تقول : إن النبوة المحمدية بعد مضي ألف سنة عليها أصبحت غير صالحة للأحوال والملابسات الجديدة والتطورات الحديثة .

والكتاب الثالث في السيرة هو في الواقع كتاب أعد ككتاب درسي للتلاميذ وطلاب العلم ، أعدّه الإمام أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي صاحب كتاب حجة الله البالغة (٣) وسماه بسرور المحزون بتلخيص نور العيون وهو باللغة الفارسية ، وفي الأصل هو ملخص نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون ، والذي هوالآخر ملخص كتاب الإمام سيد الناس في السيرة ، وهو عيون الأثر في فروع المغازي والشمائل والسير ، وبعد الشيخ ولي الله الدهلوي قد ابتدأت المرحلة في كتابة السيرة في شبه القارة التي استدركت ما فاتها في القرون العشرة الماضية ، وذلك استدراك أفضى بمسلمي القارة إلى مكان الريادة والصدارة في خصوص السيرة . فقد جاء في هذا الزمان كتاب روضة الأحباب للسيدجمال الدين الحسيني وهو من أحسن وأجود ما كتب في الموضوع ومن الأسف أن أدخلت في بعض نسخ الكتاب الخطية إلحاقات وروايات غير موثوق بها ، ثم جاء من بين تلامذة الشيخ ولي الله الدهلوي القاضي ثناء الله الفاني بتي الذي لقب ببيهقي الزمان لجلالة علمه ، فقد كتب ثلاث رسائل تعريفية في السيرة ، ثم جاءت المنظومات في السيرة النبوية التي تتناول قصص السيرة مثل الإسراء والمعراج وميلاد الرسول ووفاته وشمائله ومآثره صلى الله عليه وسلم وقد عدّها بعض المفهرسين فبلغت إلى ٦٣ أو ٢٠٠ كتابا .

وفي زمن ماقبل ١٨٥٧م ظهرت هناك كتابات كثيرة في السيرة ، وكان من أجلّها الفوائد البدرية مشتملة على مجلدين في الأردية القديمة ،

(٣) انظر لحياة الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي وأعماله، أبوالحسن علي الحسني الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام المجلد الرابع ، دارالقلم للنشروالتوزيع دمشق طبع٢٠٠٢م .

كتبها القاضي بدر الدولة واستمد مادتها من ينابيع السيرة كزاد المعاد وفتح الباري وعيون الأثر والمواهب اللدنية وغيرها ، والقاضي بدر الدولة هو جد الدكتور محمد حميد الله رحمه الله. وبعد الثورة الهندية في ١٨٥٧م ، كتب المفتي عنايت أحمد الكاكوروي المجاهد الفقيه الذي نفاه الإنجليز إلى جزائر اندمان بعد فشل الثورة الهندية ، ففي حالة الأسر كتب كتابا في السيرة وسماه بتواريخ حبيب إله ، كما قام الشيخ كرامت علي الجون فوري بترجمة أردية لكتاب الشمائل النبوية للترمذي باسم أنوار محمدي ، وترجم كتاب فتوح الشام إلى الأردية المنظومة ، كما نقل النواب مصطفى خان شيفتة زاد المعاد إلى الأردية ، ونقل سيرة ابن هشام إنشاء الله خان إلى الأردية كما ترجم "الشفاء" للقاضي عياض إلى الأردية محمد إسماعيل الكاندهلوي وكما قد ترجم طبقات ابن سعد أيضا إلى الأردية .

وهنا ابتدأت المرحلة الجديدة في علوم السيرة منذ أواخر القرن التاسع عشر ودامت إلى منتصفه ، وذلك حين استولت الشركة الهندية الشرقية البلد الهندي على أوسع نطاق واستصحبتها الهجمات الاستشراقية على الإسلام ورسوله فكتب السير وليم ميورحاكم ولاية اترابراديش ، كتاباً ضخما في السيرة النبوية باسم Life of Mohammad في أربعة مجلدات وكانت له شهرة وصيت كبير ، ونال من الإسلام ورسوله وحط من شأنه ، وأثار الكتاب ضجةً كبيرةً وجرح مشاعر المسلمين ، فشمر السر سيد أحمد خان مؤسس حركة علي جراه (٤) عن ساق الجد للرد على السروليم المستشرق الحقود المعاند ، ولكنه حين خطط استراتيجية العمل شعر بأن الأسباب لذلك غير كافية في أرض الهند ، ولذا سافر إلى انجلترا في ١٨١٩م لجمع المواد العلمية الضرورية وباع في هذا السبيل أمتعته الشخصية وأثاثه

(٤) انظر لحركة علي جراه وحياة السرسيد وأعماله ١- محمد حسين حالي ،حياة جاويد (بالأردية) أي الحياة الخالدة ، طبع علي جراه ٢- الدكتورصلاح الدين العمري ، سيدأحمد خان –حياته وافكاره ، صدر من أكاديمية السرسيد بجامعة علي جراه الهند ٢٠٠٥م ٣- أبوالحسن علي الحسني الندوي، الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية في الأقطار الإسلامية طبع مجلس الصحافة والنشر بندوة العلماء لكناؤ الهند .

وحتى بيته أيضا ، ثم شرع العمل للرد على الكتاب وجاء كتابه في مجلد واحد مشتملا على ١٢ خطبة ، ونقل أولاً إلى الإنجليزية ثم طبع بالأردية وسماه المؤلف بالخطبات الأحمدية وجاء فيها الرد على المجلد الأول لكتاب السروليم ميور فقط ، وكان من أوليات السر سيد أحمد أنه: درس لأول مرة دراسة مباشرة الصحف السماوية كالإنجيل والتوراة وذكر جغرافية العرب ، كما أنه سرد معطيات الرسالة المحمدية الحضارية والثقافية وعده من صميم السيرة ، واستخدم الأساليب الاستشراقية الغربية في دراسة السيرة وهكذا كان السرسيد هونقطة تحول وبداية عهد جديد في دراسة علوم السيرة في شبه القارة الهندية .

وعاصر السر سيد أحمد خان السر سيد أمير علي وهو رجل مثقف وقاض وباحث وكاتب قدير بالإنجليزية ، كان مقيما بأنجلترا وتعلم هناك ، فقرأ كتاب وليم ميور وتصدى للردعليه رداً إيجابيا ، فتقدم وألّف كتابا باللغة الإنجليزية في السيرة النبوية في جزئين ، سرد في الأول أحوال و وقائع السيرة ، وتحدث في الثاني عن الخصائص والمميزات لمنهاج النبوة ورسالة الإسلام وعنصر الأصالة والمعاصرة في التعليمات النبوية ، وعن الأثرات الحضارية للإسلام على الغرب وما إليها من الأمور ، وهذا الكتاب سماه مؤلفه بروح الإسلام (spirit of Islam) ، ونقل إلى اللغة الأردية ،وكان له أثر بالغ ودوي كبير في الأوساط الإسلامية المثقفة (٥) وأثنى عليه الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ثناء عطراً والحقيقة أن كتاب السيد أمير علي هو أفضل بكثير على الكتابات الأخرى ، ويحقق الغرض المنشود بكفاءة ، لأنه ألف باللغة الغربية وبأسلوب غربي أصيل وقد وضع إمام الهند ووزير المعارف الأسبق للهند مولانا أبو الكلام آزاد (١٨٨٨ – ١٩٥٨) ، وهو تلميذ للشيخ شبلي النعماني كتابا باللغة الأردية باسم "رسول رحمت" أي نبي الرحمة وهو كتاب في السيرة النبوية مستمد من القرآن الكريم، على أن هناك كثيراً من الكتب إذا ذهبنا نسردها نخاف أن نبعد عن الموضوع المحدد .

(٥) انظر ياسين مظهر صديقي مقاله بالأردية في مجلة "معارف" المجلة العلمية الشهيرة ولسان حال أكاديمية شبلي دار المصنفين أعظم جراه عدد ستمبر ٢٠١٠م.

البحث الأصيل : وبعد هذا الاستعراض السريع ندخل في صميم الموضوع ونشرع دراسة الكتب الستة التالية :

يقول الدكتور محمود أحمد غازي : "لا نبالغ إذا قلنا : أن النصف الأول للقرن العشرين في خصوص السيرة كان في يدي كاتبَي السيرة ، أحدهما الشيخ شبلي النعماني مع تلميذه الرشيد سليمان الندوي ، وثانيهما القاضي محمد سليمان المنصور فوري ، على أن النصف الثاني أيضا كان في يد شخصية من القارة الهندية ، ألا وهو الدكتور محمد حميد الله الذي لا نبعد إذا قلنا : إنه جدد علوم السيرة في القرن العشرين" (٦) ، وأقدم وأسبق من ألف في السيرة في هذه المرحلة زمناً هو القاضي سليمان المنصور فوري .

التعريف بالكتاب والكاتب :

١- **رحمة للعالمين** : في عهد الاستعمار الإنجليزي كانت الغارات التبشيرية والإستشراقية على قدم وساق في شبه القارة الهندية ، ومن جراء ذلك ارتد بعض المسلمين واعتنقوا النصرانية كما اعتنق عدد كبير من الهندوس وغيرهم المسيحية ، ومن هولاء المسيحيين الجدد كان هناك القس المبشر عماد الدين الذي اشتغل في إثارة الأكاذيب وتوجيه التهم إلى شخص الرسول الكريم ﷺ ، ثم جاء الهند المبشر فندر واشتغل بتحدي علماء المسلمين ، وقاومه الشيخ رحمة الله الكيرانوي بمساعدة علمية كبيرة من الاستاذ وزير أحمد ، في تلك الخلفية ألف رحمة للعالمين دفاعاً عن الرسول وذوداً عن رسالة الإسلام وردّاً على شبهات وظنون المستشرقين بدون ذكر أسمائهم وافترءآتهم وإنما بطريق إيضاح الصورة الأصلية أمام الدارسين .

كان الشيخ سليمان المنصور فوري ينتمي إلى شمال الهند وكان بارعاً باللغات العربية والفارسية والإنجليزية كما كان ماهراً بالقانون الإنجليزي ، محامياً في إحدي المحاكم الإنجليزية ، وأثناء دراساته الموسعة في السيرة حين اطلع على ما يجنيه المستشرقون من اتهامات باطلة وأكاذيب مختلقة وافتراءات موروثة في حق النبي الأكرم ﷺ ، أخذ القلم واشتغل بالجهاد

(٦) انظر الدكتور محمود أحمد غازي محاضرات في السيرة (بالأردية) ، أريب للنشر والتوزيع دريا غنج نيو دلهي طبعة ٢٠١٠م .

القلمي مدافعاً عن نبي الإسلام ورسالته من الأباطيل والأكاذيب ، فألف كتابا متوسطا جاء في ثلاثة مجلدات مشتملة على حوالي ١٨٠٠ صفحة.، وتمت طباعة المجلدين الأول والثاني في حياته ثم وافته المنية فصدر المجلد الثالث بعد وفاته (٧) .

مزايا الكتاب : وحين نلقي نظرة عابرة على محتويات الكتاب نجد أنه يذكر في مقدمة المجلد الأول إبراهيم عليه السلام إلى أجداد النبي ﷺ ، عصر الجاهلية إلى قبيلة قريش ، خصائص الدين الإسلامي وسرد وقائع السيرة من الميلاد إلى هجرته للمدينة ، والباب الأول يتناول ميثاق المدينة إلى غزوة تبوك ، والثاني يتناول كتابات ومواثيق النبي الدعوية إلى ملوك العالم والباب الثالث يلقي نظرةً عابرةً على أهم وقائع السيرة والباب الخامس يبحث عن الأخلاق النبوية الكريمة ، أما المجلد الثاني للكتاب فهو يبحث عن النسب النبوي وأعمامه وعمّاته وأولاده وبناته وأمهات المؤمنين وتعدد الزواج وفضائل أمهات المؤمنين كما يبحث أيضاً عن المغازي والسرايا النبوية وقصص القرآن وفضل الأنبياء وصفة الرحمة وحب الرسول والتقويم الهجري ، أما المجلد الثالث فهو يتحدث عن شمائل النبي وخصائص القرآن وخصائص الإسلام ، كما أن المنصور فوري قد اهتم بإعطاء الإجابات الشافية على إيرادات المستشرقين بغير إشارة إليهم واهتم أيضاً بجمع كافة التفاصيل والجزئيات للغزوات وسرد الإحصائيات التي جمعها بعد فحص دقيق ، حتى إنه سبق إلى إحصاء كل أيام حياة النبي ﷺ المباركة يوماً فساعةً فدقيقةً ، وذلك بتدقيق عجيب ، وتوصل إلى نتيجة أن النبي ﷺ عاش في هذه الحياة الدنيوية اثنين وعشرين ألفاً وثلاث مئة وثلاثين يوماً وستّ ساعات ، وقام بفريضة النبوة والرسالة في مدة ١٨٥٦ يوماً منها .

ثم إنه خص بالبحث وصفه صلى الله عليه وسلم كرحمة للعالمين وشرح رسالته كلها في ضوء هذا الوصف الكريم ، كما أنه شرح المعجزات النبوية مؤكداً على أنه من أكبرها القرآن الكريم ، ولما ظهر هذا الكتاب تُلقي بقبول عام غير مسبوق ونقل إلى عدة لغات العالم وقد نقله إلى العربية الدكتور سمير عبد الحميد ، وقرر في المناهج والمقررات

(٧) نفس المصدر .

الدراسية لعديد من الجامعات والكليات الإسلامية في شبه القارة الهندية ، وأقبل عليه الدارسون والدعاة والشباب الإسلامي ، ولا أدلَ على مكانة الكتاب وتأثيره البالغ مما وصفه الشيخ أبوالحسن علي الحسنى الندوي مقاله "كتاب لا أنسى فضله" (٨) .

٢- **سيرة النبي للشيخين شبلي وسليمان الندوي .**

التعريف بالكتاب والكاتب : ومن هذه الكتب أرفعها مكانة وأجلها علماً وأغزرها نفعاً كتاب "السيرة النبوية للشيخين العلامتين شبلي النعماني" وسليمان الندوي (١٨٥٨ – ١٩١٤) وهو بمثابة موسوعة في السيرة النبوية لم ينسج على منواله على الإطلاق أي كتاب باللغة الأردية بل بأيّ لغة في العصر الحاضر ، إلا أن "زاد المعاد" للإمام إبن القيم يفوقه من الناحية الحديثية ، قد بدأ هذه السلسلة في السيرة النبوية الشيخ شبلي النعماني وأتم الجزئين منها ثم وافته المنية وأوصى بها إلى تلميذه الرشيد وسيد العلماء بجماعة" ندوة العلماء" ألا وهو الشيخ السيد سليمان الندوي (١٨٨٥ – ١٩٥٣) أستاذ سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، فتولى العمل الكبير الضخم وأكمله في ستة أجزاء.وبقي الجزء السابع غيرتام .

وشبلي النعماني (٩) كان في الأصل مؤرخاً ومتكلماً وباحثاً محققاً وأديباً بارعاً وكان يهدف بكتاباته التاريخية كلها أولاً إلى رد اعتراضات المعاندين الجاحدين ، فقد رد على جرجي زيدان مؤلف تاريخ التمدن الإسلامي ، والإجابة عن سوء الفهم وخطأ التفسير عند ناقدي الإسلام ورسوله ، وثانياً إلى الإجابة على تساؤلات ومتطلبات العصر وإعادة ثقة المسلم بدينه ورسوله وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.، وخدم شبلي طويلاً جامعة علي جراه وصحب السر سيد أحمد خان واستفاد بمكتبته الواسعة كما استفاد بآرنولد المستشرق الكبير هناك وألم باللغة الفرنسية واطلع على كتابات المستشرقين بطريق ترجمات أعمالهم ودراساتهم ،

(٨) نفس المصدر .

(٩) أبو الحسن علي الحسني الندوي ، الطريق إلى المدينة ، المقال الأول ، طبع دار القلم للنشر والتوزيع دمشق طبعة ٢٠٠٢م .

يؤفرها له ذلك بعض تلاميذه ، ممن كانوا يعرفون اللغة الانجليزية ، واعتني بخاصة ماجنى إمام الإستشراق مرغيولث من جنايات كبيرة على الإسلام ورسوله ففي آخر أيام حياته خطط شبلي لإقامة مركز إسلامي علمي هادف يسعى لتحقيق الأهداف العلمية والفكرية من خلال مؤلفات علمية وأبحاث تحقيقية جادة ، وخاصة تبنّى مشروع الانسائكلوفيديا في السيرة النبوية ، ووقف لهذا الغرض أرضه الموروثة ببلدة أعظم جراه بولاية أترابراديش الشرقية، يحتوي على مبنى قديم وحديقة .

وشرع في العمل وأثناء كتابته مرض مرضا شديداً ومات فيه ، وفي حالة المرض وجّه الدعوة إلى ثلاثة من أصحابه وتلاميذه : الشيخ حميد الدين الفراهي والأستاذ أبو الكلام آزاد والشيخ سليمان الندوي والمؤخر ذكره هو الذي استجاب نداءه وحضر وهو يلفظ نفسه الأخير فأخذ شبلي يده وقال "السيرة السيرة" فإنها مكسب حياتي كلها ثم انتقل إلى رحمة الله ، وبعد برهة قليلة جاء الشيخ حميدالدين أيضا وشكلت لجنة علمية وإدارية بمن فيهم الشيخ سليمان الندوي والشيخ حميد الدين الفراهي والأستاذ مسعود علي الندوي الذي تولي إدارة أعمال أكاديمية شبلي ، وفي مدة ثلاثين عاما قد أنجز سليمان الندوي العمل الكبير المفوض إليه من قبل أستاذه ، على أن شبلي كان ينوي إكماله في أربعة مجلدات والشيخ سليمان قد أكمله في ستة مجلدات وكان يعمل على المجلد السابع في حياة النبي السياسية حين هاجر إلى كراتشي باكستان وهذا الجزء الأخير أيضاً صدر لكن بصورة غير تامة (١٠) .

مزايا الكتاب : أما ما تهدف إليه السيرة فهو يتمثل في جملته الأولى للكتاب ، يقول المؤلف : "إن أقدم الفرائض وأقدس الأعمال في الكون هو أن يقوم الإنسان بتربية النفس الإنسانية ويهذب خلقه ، والسيرة تفسير عملي لقوله ﷺ "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ولتحقيق الغرض يلزم تأسيس مبادئ وأصول أخلاقية ثم ترويجها عملياً ، وترويج الأخلاق النبيلة إنمايحصل بطريق تقديم المواعظ.تأليف الكتب أومن خلال القانون ولكن لم يتم كل ذلك إلا بطريق تقديم أنموذج عملي وقدوة مثالية ، وبعثة الأنبياء والرسل

(١٠) انظر سليمان الندوي ، حياة شبلي دار المصنفين أعظم جراه ، طبع قديم

تكون تحقيقا لهذا الغرض النبيل لأنه إذا جاء النموذج العملي حصل الوعظ وتم تأليف الكتب وتقنين الشرائع تلقائيا ، وبذلك تمت مكارم الأخلاق كما قال ﷺ : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وكتب شبلي مقدمة طويلة علمية رائعة للسيرة وهي تحمل المكانة الرفيعة في ذخائر السيرة.لأنها مقدمة وقيعة فذة فريدة في العمق والاستدلال .

ولم يشهد القرن العشرون كتاباً في السيرة أكثر إتقانا وأبلغ بيانا وأروع جمالا وأرفع مكانا وأقوى حجةً وأعمق تحليلاً منه هذا الكتاب ، ونقل الكتاب إلى الكثير من لغات العالم وصدرت له مئات الطبعات بالأردية ، وبما أن شبلي كان له باع طويل في التاريخ وعلم الرجال ، وسليمان الندوي كان عالماً بارعاً في التفسير والحديث فجاء الكتاب جامعا حافلا من هذا الجانب أيضا ، ولذا كثير من العلماء والكتاب الهنود يرجحونه على كتب السيرة الأخرى. والسيرة النبوية لشبلي كتاب بمثابة دائرة المعارف في الحياة النبوية ، فإن الجزئين الأول والثاني يسرد أحداث ووقائع السيرة حسب المعتاد عند كُتاب السيرة ، والجزء الثالث يتمحور حول دلائل النبوة والمعجزات ، والمجلد الرابع يشرح منصب النبوة ، أحوال العالم عامة وأوضاع جزيرة العرب خاصة عند البعثة ، كما يشرح أيضا رسالة الإسلام ومناهج وأساليب الدعوة المحمدية منتقلا إلى توضيح العقائد الإسلامية : التوحيد ، وأركان الإيمان وتأثير الإيمان على حياة الإنسان ، المجلد الخامس يلقي الأضواء على العبادات : الصلاة والزكاة ،الحج ، الصوم ، الجهاد ، متطرقا إلى العبادات القلبية ، التقوى والإخلاص والصبر والشكر ، والمجلد السادس يفسر فلسفة الإسلام الأخلاقية ويذكر الأخلاق النبيلة كما يبين رذائل الأخلاق في نظر الإسلام ، أما المجلد السابع الغير تام فهو يفسر المعاملات وخاصة السياسة الشرعية (١١) .

(للبحث صلة)

(١١) انظر الدكتور محمود أحمد غازي محاضرات في السيرة (بالأردية) ، أريب للنشر والتوزيع دريا غنج نيو دلهي طبعة ٢٠١٠م .

❖❖❖

حركة جمع الحديث وتدوينه

بقلم :الباحث محمود عالم الصديقي ❖

"الحديث هو كل ما أثر أو ما ورد عن رسول الله ﷺ من قول وفعل أو تقرير ، وبعد عصر النبي ﷺ ضم إلى الحديث كل ما ورد عن الصحابة ، فالصحابة كانوا يعاشرون النبي ﷺ ، ويسمعون قوله ويشاهدون عمله ، ويحدثون بما رأوا ، وما سمعوا ، وجاء التابعون ، فعاشروا الصحابة وسمعوا منهم ورأوا ما فعلوا ، فكان من الأخبار عن رسول الله ﷺ وصحابته "الحديث" (١) ويقول الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى ٢٦١ من الهجرة ، في مقدمة صحيحه : "وأن الأثر يطلق على المروي مطلقاً سواء كان عن رسول الله وعن صحابي" (٢) .

وللحديث قيمة كبرى في الدين تلي رتبة القرآن ، فهو أحد المصادر الأربعة في التشريع الإسلامي ، كما هو تفسير للقرآن الكريم ولا سيما للآيات المجملة أو المطلقة ، ففي القرآن كثير من الآيات مجملة أو مطلقة ، فجاء قول رسول الله أو عمله ، فبينها أو قيدها أو خصصها ، فالقرآن لم يبين تفاصيل الصلاة ، وإنما هو الحديث أوضح أوقاتها وكيفيتها ، وكذلك أنه يبين موقف النبي ﷺ وأصحابه في الشؤون الحربية والسلمية ، وكما هو سجل للأحداث التي تعرض لها النبي ﷺ والمسلمون ، ووعاء للقضايا التي قضى بها النبي ﷺ وأصحابه ، فهو شرح لمعاني القرآن وتفاصيل للأحكام الإسلامية ، قال تعالى بهذا الصدد : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ وهو مرآة صادقة لحياة الرسول العملية التي جعلها الله أسوة حسنة لكافة المسلمين ، فيقول القرآن : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (سورة الأحزاب الآية/٢١) وهو أصدق ترجمان للسيرة النبوية ، فقال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، عند ما سئلت عن

❖ المحاضر الضيف في مركز الدراسات العربية والإفريقية ، بجامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي .

(١) أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

(٢) الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، مقدمة صحيح مسلم ، ص/٦ .

خلق النبي ﷺ : كان خلقه القرآن" (٣) ، فالحديث يقدم لنا التفاصيل عن الأحكام الإسلامية بالشرح والبسط ، كما هو وحي خفي ، قال تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم الآية/٣) لذلك علم الحديث والآثار من أشرف العلوم الإسلامية قدراً وأحسنها ذكراً وأكملها نفعاً وأعظمها أجراً ، وفوق ذلك كله أنه يعد مصدراً عظيماً للثقافة الإسلامية بمادته الحديثية الشاملة لتربية الفرد وتنظيم المجتمع وبناء الإنسان وتشييد العمران .

لذلك عني الصحابة بحديث الرسول عناية خاصة ، وكذلك حرضهم على المحافظة عليه وتبليغه إلى من لم يسمعه ، فقال : نضَّرَ الله إمرءاً سمع منا حديثاً فحفظه ، حتى يبلغه ، فرب مبلغ أحفظ من سامع ، "وقال في خطبة حجة الوداع : ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع" ، وكثيراً ما يقول للوفود التي ترد عليه : "احفظوا أحاديثي ، وأخبروا بها من وراءكم من العشائر" ، فعني الصحابة بالحديث عناية خاصة ، واجتهدوا في تعرف ما كان عند الصحابة من حديث وعلم ، وابتلوا في سبيل ذلك إبتلاء كبيراً ، ولقوا ما لقيهم من مصائب بابتسامة وانفتاح قلب ، وكما يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : "لما قبض رسول الله ﷺ ، قلت لرجل من الأنصار : هلم ، فلنسأل أصحاب رسول الله ، فإنهم اليوم كثير ، قال ، فقال الأنصار ، وا عجبا لك يا ابن عباس ! أترى الناس يفتقرون إليك ، وفي الناس من أصحاب رسول الله ، من فيهم ؟ قال ، فتركت ذلك ، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله عن الحديث ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل ، فآتي بابه ، وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بابه ، تسفي الريح علي التراب ، فيخرج ، فيراني ، فيقول لي : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلي فآتيك ؟ فأقول : لا ! أنا أحق أن آتيك ! فأسأله في الحديث ، فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني . وقد اجتمع الناس حولي ، فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني" (٤) ،

(٣) رواه أحمد في مسند [illegible] ٢٢

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م . ص/٣٦٩ ج/٢ .

ويروى أن جابر بن عبد الله بلغه حديث عن رجل من أصحاب رسول الله ، فابتاع بعيراً ، فشد عليه رحله ، ثم سار حتى قدم الشام (٥) ، وكان عبد الله بن عمر يتلمس الحديث حيث كان ، ويقول عنه الزبير بن بكار وهو من التابعين ، "وكان ابن عمر يتحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ ، ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله ، وكان يتبع آثاره في كل مسجد صلى فيه ، وكان يعترض براحلته في طريق رأى رسول الله ﷺ عرض ناقته ، وكان لا يترك الحج ، وكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ ، "فاهتم الصحابة بحفظ الحديث اهتماماً بالغاً حتى إنهم سجلوا كل عمل عمله النبي وكل قول قاله ، في صدورهم ، وأخذ عنهم التابعون .

فكان الحديث محفوظاً في صدرو حفاظ الصحابة في عهد رسول الله ﷺ ، ولكنه لم يدون في كتاب في عهد الرسول ﷺ ، كما دون القرآن ، فإنا نرى أن رسول الله اتخذ كتبة للوحي يكتبون آيات القرآن عند نزولها ، ولكنه لم يتخذ كتبة يكتبون ما ينطق به من غير القرآن ، بل خلاف ذلك نحن وجدنا أحاديث تنهى وتمنع عن تدوين الحديث ، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال ، قال رسول الله ﷺ : لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني فلا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في النار ، "ففي هذا الحديث نهى الصحابة عن كتابة الحديث ولكنه أجاز هم لروايته ، وكان السبب وراء نهيهم عن كتابة الحديث هو مخافة التباس القرآن من الحديث ، وإنه أجاز بعض الصحابة بكتابة الحديث أيضاً عند حالة عدم وجود خشية التباس القرآن بالحديث ، نحو ما يروى عن ابن عمرو بن العاص : إنه كان يكتب كل ما سمعه من النبي ﷺ ، على صحيفة ، سماها الصادقة بعد أن استأذن من النبي لكتابة الحديث وتدوينه الصحيفة (٦) ، على كل حال ، لم يكن تدوين الحديث شائعاً في عصر النبي ﷺ والصحابة ، ولم يوضع له نظام خاص لتدوينه كالذي وضع للقرآن .

ولكن بعد وفاة النبي ﷺ عند ما تعرض للصحابة والتابعين حادث ،

(٥) انظر : أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ج/٢ ص/٧٠ .

(٦) مالك بن أنس .

أو أشكل عليهم فهم آية ، أو اختلفوا في تفسيرها ، رجعوا إلى الحديث ليجدوا فيه حكماً ، وتابعوه حيث وجدوا ، ورحلوا إلى الأمصار المختلفة التي تفرق فيها الصحابة لتعليم أهاليها ، فمن الصحابة من يحمل حديثاً ، ومنهم من يحمل حديثين ، ومنهم من يحمل عدة أحاديث ، ومنهم من يحمل أحاديث كثيرة ، فاختلف الصحابة في الحديث عن رسول الله ﷺ كثرة وقلة ، وأكثرهم حديثاً أبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن عباس وابن مسعود وأم المؤمنين عائشة وعلي بن أبي طالب وجابر وأنس بن مالك ، فحديث أبي هريرة ٥٣٧٤ حديثاً ، ولعائشة ٢٢١٠ حديثاً ولعبد الله بن عمر ٢٢٢٩ حديثاً ، ولعبد الله بن عباس ١٧١٠ حديثاً ، ولعبد الله بن مسعود نحو ٩٠٠ حديث ، ولعلي بن أبي طالب ٨١٩ حديثاً ، ولعبد الله بن عمرو بن العاص ٢٣٣ حديثاً ، وبقدر حديث أنس بنحو ما يقرب من مسند عائشة ، ولجابر بن عبد الله أزيد من ١٥٠٠ حديث .

وأما أبو هريرة فكان في طليعة الصحابة في الإكثار من رواية الحديث عن النبي وعن الصحابة ، قال فيه طلحة بن عبد الله : "لا نشك – فيه – أن أبا هريرة سمع من رسول الله ما لم نسمع" ، وقال ابن عمر أبو هريرة خير مني وأعلم بما حدث" (٧) .

كان أبو هريرة يمني الأصل من قبيلة دوس ، وكان اسمه عبد الله أو عبد الرحمن ، ولقب بأبي هريرة لهرة صغيرة كانت له ، وهو يقول بصدد ذلك : كنت أرعى غنم أهلي ، وكان لي هريرة صغيرة ، فكنت أضعها بالليل في شجرة ، فإذا كان النهار ذهبت بها معي ، فلقيت بها ، فكنوني أبا هريرة" ، أسلم أبو هريرة في السنة السابعة من الهجرة بخيبر ، ثم لازم صحبة النبي ﷺ ، وحفظ كل ما سمعه من النبي ﷺ من الحديث حتى صار نابغة عصره في الحديث ، وتفوق على كبار الصحابة ، ومنهم أم المؤمنين عائشة ، فجاءت في الطبقات الكبرى لابن سعد ، أن أم المؤمنين عائشة قالت لأبي هريرة : إنك لتحدث عن النبي ﷺ حديث ما سمعته منه ، فقال أبو هريرة : طلبتها ، وشغلك عنها المرآة والمكحلة ، وما كان شغلني عنها شيء" (٨) ، فكان أبو هريرة حريصاً شديد الحرص على حفظ الحديث

(٧) الإصابة ، ٢٧٤ ج/٤ .
(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، – بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص/٣٦٤ ج/٢ .

حتى إنه قال للنبي ﷺ : إني سمعت منك حديثاً كثيراً ، فأنساه ، فقال : أبسط رداءك فبسطته ، فغرف بيده فيه ، ثم قال ضمه ، فضممته ، فما نسيت حديثاً بعده" (٩) ، وعند ما أكثر من رواية الحديث بعد وفاة النبي ﷺ ، فاعترض عليه بعض الصحابة فقال : إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة من حديث ، ولولا آيتان في كتاب الله عز وجل ، ما حدثت حديثاً ، ثم يقرأ و ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ "حتى يبلغ" ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ، ثم يقول على أثرهما ، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وكان أبو هريرة يلزم رسول الله على شبع بطنه ، فيسمع ما لا يسمعون ، ويحفظ ما لا يحفظون" (١٠) ، وكذلك أن مروان كان يتهمه بالجرأة على كثرة الحديث في بداية الأمر حتى إنه أراد أن يمتحنه ، فاستقدمه ، وأجلس كاتبه أبا الزعيزعة تحت الستار وأمره أن يكتب كل ما يحدث أبو هريرة ، وطلب من أبي هريرة أن يحدث عليه حديثا ، فجعل أبو هريرة يحدثه ، وكان كاتبه تحت الستار يكتب كل ما يحدث به ، حتى إذا كان رأس الحول أرسل إليه فسأله وأمر كاتبه أن ينظر ، فما غير حرفاً عن حرف ، ومنذ ذلك الحين كان مروان من أكبر الدافعين عنه (١١) ، فكان أبو هرة أكثر الصحابة حديثاً وأحفظهم للأخبار النبوية ، استقر بالمدينة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، واستعمله عمر رضي الله عنه على البحرين ، وكذلك نزل بالكوفة ، فتلقى عنه الحديث عدد كبير من طلبة الحديث حتى قال البخاري : إن أبا هريرة روى عنه نحو ثماني مائة من أهل العلم فما زال يخدم الحديث حتى توفي عام ٥٧ من الهجرة ، هكذا قام أبو هريرة بترويج الجديث ترويجاً كبيراً .

وأما عبد الله بن عمر فهو يقرن بأبي هريرة في الإكثار من رواية

– بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص/٣٦٤ ج/٢ .
(٩) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص/٣٦٢ ج/٢ .
(١٠) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص/٢٢٣ ج/٢ .
(١١) الإصابة ، ملخص من ص/٢٧١ إلى ص/٢٧٧ ج/٤ .

الحديث عن النبي ﷺ ، والسبب في ذلك أن أبا هريرة يروي عن النبي معتمداً على ذاكرتهم ، ولكن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يروي عنه الصحيفة التي كتب فيها الأحاديث ، كما يقول : "استأذنت النبي ﷺ في كتابة ما سمعت منه ، فأذن لي فكتبته ، ويقول مجاهد : "رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة ، فسألته عنها ، فقال : هذه الصادقة ، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ، ليس بيني وبينه فيها أحد" (١٢) فكان عبد الله يقرن بأبي هريرة في رواية الحديث ، بل هو يتفوق عليه ، كما يقول أبو هريرة : "ما أجد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني إلا من عبد الله بن عمرو بن العاص ، فإنه كان يكتب ، ولا أكتب (١٣) ، وقد ذكره ابن سعد في طبقاته بين علماء الصحابة الذين كانوا يفتون بالمدينة في عهد النبي ﷺ وبعده ، ويُقتدى بهم ، ويقال : إنه طاف عدة بلاد من البلدان الإسلامية من مكة والطائف والشام ومصر ولوّنها بلون الحديث (١٤) .

وأما عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما فكانت واسعة الاطلاع ، وأعلم النساء بالقرآن والسنة والفرائض ، وأفقههن بالرأي ، وكانت من فقهاء المدينة في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما ، وما زالت تفتي بعدهما حتى ماتت سنة ٥٨ من الهجرة ، وكذلك كانت متضلعة من علم الرياضة ، وعالمة بالشعر وعارفة بالأنساب ، ومطلعة على علم الطب ، فكانت طبيبة ماهرة ، ولعل سبب ذلك أنها كانت مع النبي في مرحلتي حياتها من الطفولة والشبابة ، وهما مرحلتان للتعلم والقراءة ، فقد ولدت بعد ثلاث من النبوة ، وقد زوجها رسول الله ، وهي كانت بنت ست سنين ، ودخل عليها بعد الهجرة ستة أشهر أو سبعة أشهر ، وهي تسع سنين ، وظلت معه طول مدته بالمدينة حتى مات النبي ﷺ عنها ، وهي كانت ابنة ثماني عشرة ، فتعلمت منه ما تعلمته من القرآن ، وتفقهت ما تفهته منه في الدين ، وروت ما روته عنه من الحديث ، والحقيقة أن ذكاءها المتوقد ومخالطتها بالنبي ﷺ

(١٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص/٤٩٥ ج/٧ .

(١٣) مسند أحمد ص/٩٨٧ .

(١٤) انظر للتفصيل : الفصل الثاني ، نفس الكتاب في مركز الشام .

مكنها من أن تروي عنه كثيراً ، خصوصاً فيما يتعلق بشؤونه البيتية التي لم يتيسر للصحابة رضي الله عنهم الاطلاع عليها ، لذلك كان لها بين الصحابة منزلة عالية يستشيرونها في مسائل وقضائية كما يقول قبيصة : وهو من التابعين ، كانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه : "ما كان أصحاب رسول الله يشكون في شيء إلا سألوا عنه عائشة رضي الله عنهما ، فيجدون عندها من ذلك علماً" ، فاجتمع حولها طلبة الحديث وتلقوا منها ، واشتهر من بين هؤلاء طلبة الحديث عمرة بنت عبد الرحمن ، فهي تعتبر من أخص تلاميذ عائشة رضي الله عنهما وحاملة علمها ومسندها وأحاديثها ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول عنها : ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة منها ؛ يعني عمرة ، وكان عمر يسألها" (١٥) وقد استعان أوائل المدونين للحديث وجامعيه من أحاديثها أو من مجموعة حديثها ، فجاء في طبقات ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أمر أبا بكر بن محمد بجمع الحديث ، وقال له : "انظر ما كان من حديث رسول الله أو سنة ماضية أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن ، فاكتبه ، فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله" (١٦) ، جملة القول أن عائشة أم المؤمنين كانت أعلم الصحابة بحديث النبي ﷺ ولا سيما الأحاديث المتعلقة بالشؤون البيتية ، وإنها طافت عدة بلاد من البلدان الإسلامية ، فأينما حلت ، لونتها بلون الحديث ، هكذا نشر الصحابة رضي الله عنهم الحديث نشراً كبيراً .

وقد تفرق هؤلاء الصحابة وأمثالهم في الأمصار المختلفة عند ما توسعت الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فكان لكل بلاد من البلدان الإسلامية رجال الحديث يتفرد أهاليها برواية عنهم ، فاشتهر في المدينة زيد بن ثابت ، وعائشة وعبد الله بن عمر والخلفاء الراشدون ، وفي مكة معاذ بن جبل

(١٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص/٣٨٧ ج/٢ .

(١٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص/٣٨٧ ج/٢ .

وعبد الله بن عباس وعبد الله بن السائب (١٧) ، وفي الطائف عثمان بن أبي العاص والحارث بن عبد ، وفي اليمن فروة بن سيك وعمر بن معديكرب وفيروز الديلمي ، وفي الكوفة علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي ، وفي البصرة أبو موسى الأشعري ، وأنس بن مالك وعثمان بن أبي العاص ، وفي الشام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء ، واشتهر في مصر عمرو بن العاص وابنه عبد الله المحدث الكبير وعقبة بن عامر وخارجة بن حذافة قاضي مصر في زمن عمرو بن العاص وغيرهم من الصحابة .

وكان لهؤلاء الصحابة تلاميذ يختصون بهم ويروون عنهم ، كسعيد بن المسيب التلميذ الخاص لزيد بن ثابت في المدينة ، ومجاهد بن جبير حامل علم ابن عباس في مكة ، وعلقمة والأسود ومسروق وعبيدة والحارث بن قيس وعمرو بن شرحبيل ، التلاميذ البارعون لابن مسعود في الكوفة ، والحسن البصري مولى لزيد بن ثابت ومحمد بن سيرين حامل مسند ابن عمر في البصرة ، وعبد الرحمن بن غنم الأشعري ، تلميذ معاذ بن جبل في الشام ، وأبو إدريس الخولاني حامل علم من نزل بأرض الشام من الصحابة ، وسليم بن عتر التجيبي وعبد الرحمن بن جحيرة حاملاً علم من نزل بأرض مصر من الصحابة .

وروى عن هؤلاء التابعين وأمثالهم تلاميذهم ، واستمرت هذه السلسلة الذهبية حت تكونت على مر العصور سلاسل المحدثين ، فضل علماء الحديث بعضها على بعض ، وكانوا يرون الحديث بالشفهوية والتلقين معتمدين على ذاكرتهم ، فلم يدونوه في صحيفة أو كتاب خاص حتى جاء عصر عمر بن عبد العزيز ، فإنه أول من أمر بعض العلماء بجمع الحديث وتدوينه في كتاب ، فجاء في طبقات ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز أمر أبي بكر بن محمد بجمع الحديث ، وقال له : "انظر ما كان من

(١٧) كنا نفخر على الناس بأربعة بفقيهنا وقاصنا ومؤذننا وقارئنا ، فأما فقيهنا فابن عباس ، وأما مؤذننا فابو محذورة ، وأما قارئنا فعبد الله بن السائب ، وأما قاصنا فعبيد بن عمير ، طبقات ابن سعد ، ص/٤٤٥ ج/٥ عبد الله بن السائب أسلم يوم الفتح ، ولم يزل مقيماً في مكة حتى مات بها في زمن عبد الله بن الزبير .

حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن ، فاكتبه فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله" (١٨) ، وكذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى كثير بن مرة الحضرمي في الشام ، وكان قد أدرك بحمص سبعين بدريا من أصحاب الرسول ﷺ أن يكتب بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ من أحاديثهم إلا حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، فإنه عندنا" (١٩) ، وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصفهان عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أهل الآفاق "انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ ، فاجمعوه" ، فاتخذ عمر بن عبد العزيز خطوة عملية في تدوين الحديث ، ثم بدأ كثير من الناس بجمع الحديث وتدوينه في مجموعات غير مرتبة وغير مراعاة لأصول الكتب وعدم الدقة ، ولم تصل هذه المجموعات إلينا ، ولم يشر إليها جامعو الحديث ، غير أننا نستطيع العثور على وصف بعض هذه الكتب الشخصية في كتب التاريخ عند ما نطالعها بدقة ، مثلا جاء في طبقات ابن سعد أن سعيد بن أبي عروبة طلب من همام عواشر القرآن ، فقال له همام : "أنا أنسخه لك وأرفعه إليك ، فقال – سعيد بن أبي عروبة – لا إلا كتابك ، فأبيت عليه ، واختلف إلي فلم أعره" (٢٠) ، فإن هذه الكتب ساعدت كثيراً على ظهور كتب الحديث المرتبة في العصر العباسي ، ففي مكة جمع الحديث ابن جريج المتوفى سنة ١٥٠هـ ، وفي المدينة محمد بن إسحق ومالك بن أنس ، وفي البصرة الربيع بن صبيح المتوفى ١٦٠ ، وسعيد بن أبي عروبة المتوفى ١٦١ ، وبالشام الأوزاعي المتوفى ١٥٦ ، وباليمن ، معمر وبخراسان ابن المبارك وبمصر ابن الليث .

ولم يصل إلينا من هذه المجموعات إلا موطأ مالك ووصف لبعض المجموعات الأخرى ، وقد صنفه إمام الهجرة الإمام مالك بن أنس في أربعين

(١٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص/٣٨٧ ج/٢ .

(١٩) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص/٤٤٨ ج/٧ .

(٢٠) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص/٢٧٣ ج/٧ .

سنة ، وكان له طول باع في الفقة والحديث النبوي ، قال فيه الشافعي : إذا ذكر العلماء فمالك النجم ، وقال في رواية أخرى : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز وما في الأرض كتاب أكثر صواباً من الموطأ ، وقال ابن مهدي : مالك أفقه من الحكم وحماد (٢١) ، وأنفق مالك في تصنيفه كل ما في وسعه من المجهودات في انتقاء الأحاديث الصحيحة من الأحاديث السقيمة ، فقد جمع مالك أحاديث كثيرة ، ثم كان يختار منها على مر السنين حتى استغرق سبعين عاماً ، فقد رووا "أن مالكاً جمع في المؤطأ أربعة آلاف حديث أو أكثر ، ومات وهي ألف ونيف يخلصها عاماً عاماً بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين" (٢٢) ، لذلك يعتبر الجمهور العلماء الموطأ أصح الكتاب بعد الصحيحين ، وقد هدف مالك من تأليف هذا الكتاب خدمة الفقة ، واستنباط المسائل من الحديث النبوي وأقوال السلف من الصحابة والتابعين ، لذلك رتبه على الأبواب الفقهية ، وطريقة تأليفها أن يجمع الأحاديث وأقوال السلف المتعلقة بالموضوع ، فالكتاب لم يشتمل على الأحاديث النبوية فحسب ، بل هو مشتمل أيضاً على أقوال الصحابة وفتاوى التابعين .

ثم خطا خطوه كثير من العلماء في تأليف كتب الحديث ، حتى حدثت خطوة أخرى في تدوين الحديث على رأس المأتين ، وهي انفصال الحديث من أقوال السلف في مسانيدهم ، وطريقة تأليف المسند ، وهي أن يجمع محدث أحاديث حسب الرواة من الصحابة بصرف النظر عن موضوعاتها ، فيجمع الأحاديث التي رواها عمر بن الخطاب أو ابن عباس عن النبي ﷺ ، مهما اختلفت موضوعاتها من صلاة أو زكاة أو ميراث ، فأساس التقسيم في الطريقة السابقة وحدة الموضوع ، وأساس التقسيم في هذه الطريقة وحدة الراوي الصحابي (٢٣) ، وقد جرى كثير من المحدثين على هذه الطريقة ، وأبرزهم : عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي ومسدد بن مسرهد البصري وأسد بن موسى الأموي ونعيم بن حماد الخزاعي والإمام

(٢١) النجوم الزاهرة .

(٢٢) شرح الزرقاني على الموطأ .

(٢٣) انظر : ضحى الإسلام لأحمد أمين .

أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم ، ولذلك سميت كتبهم بالمسانيد ، ويقول ابن حجر بهذا الشأن في شرحه على البخاري : "إن آثار النبي ﷺ لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين : أحدهما إنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم ، وثانيهما لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم ، وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار ، فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح سعيد بن أبي عروبة وغيرهما وكانوا يصنفون كل باب على حدة إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم ، وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بمكة وأبو عمر وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي بالشام وأبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري بالكوفة وأبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار بالبصرة ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم إلى أن رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبي ﷺ خاصة ، وذلك على رأس المأتين فصنف عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي مسنداً وصنف مسدد بن مسرهد البصري مسنداً وصنف أسد بن موسى الأموي مسنداً وصنف نعيم بن حماد الخزاعي نزيل مصر مسنداً ، ثم اقتفى الأئمة بعد ذلك أثرهم ، فقل إمام من الحفاظ إلا وصنف حديثه على المسانيد كالإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم من النبلاء ، ومنهم من صنف على الأبواب وعلى المسانيد معاً كأبي بكر بن أبي شيبة .

واستمرت هذه السلسلة لتدوين الحديث حتى جاء القرن الثالث نشطت فيه حركة الجمع والنقد وتمييز الصحيح من الضعيف وتعيين مراتب الرجال والحكم لهم أو عليهم ، فألفت فيه أهم كتب الحديث من صحيح البخاري وجامع الصحيح للإمام مسلم وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه وسنن أبي داؤد وسنن النسائي ، وهي التي تسمى عادة الكتب الستة ، وهي التي أعدت أصح كتب الحديث ، كما يقول ابن خلدون : "وكان علم الشريعة في مبدأ هذا الأمر نقلاً صرفاً ، شمر لها السلف وتحروا الصحيح حتى أكملوها ، وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطأ ، أودعه أصول الأحكام

من الصحيح المتفق عليه ، ورتبه على أبواب الفقه ، ثم عُني الحفاظ بمعرفة طرق الأحاديث وأسانيدها المختلفة ، وربما يقع إسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين ، وقد يقع الحديث أيضاً في أبواب متعددة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها ، وجاء محمد بن إسماعيل البخاري إمام المحدثين في عصره ، فخرّج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي هي للحجازيين والعراقيين والشاميين ، واعتمد منها على ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه ، وكرر الأحاديث يسوقها في كل باب ، بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث ، فتكررت لذلك أحاديثه ، حتى يقال : إنه اشتمل على تسعة آلاف حديث ومأتين ، منها ثلاثة آلاف متكررة ، وفرق الطرق والأسانيد عليها مختلفة في كل باب ، ثم جاء الإمام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى ، فألف مسنده الصحيح ، حذا فيه حذو البخاري رحمه الله في نقل المجمع عليه ، وحذف المتكرر منها ، وجمع الطرق والأسانيد ، وبوبه على أبواب الفقه وتراجمه ، ومع ذلك فلم يستوعبا الصحيح كله ، وقد استدرك الناس عليهما في ذلك ، ثم كتب أبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي ، في السنن بأوسع من الصحيح ، وقصدوا ما توافرت فيه شروط العمل ، أما من الرتبة العالية في الأسانيد ، وهو الصحيح ، فهو معروف ، وأما من الذي دونه من الحسن وغيره ، ليكون ذلك إماماً للسنة والعمل ، وهذه هي المسانيد المشهورة في الملة ، وهي أمهات كتب الحديث في السنة ، فأنها وإن تعددت ترجع إلى هذه في الأغلب" (٢٤) ، فلم يدخر المحدثون وعلماء النقد وسعاً في تمييز الأحاديث الصحيحة عن الأحاديث السقيمة ، ووفقوا في سبيل ذلك حياتهم ، حتى دونوا الأحاديث الصحيحة في كتبهم حسب اجتهادهم ، هكذا تطورت حركة جمع الحديث وتدوينه تطوراً بالغاً .

(٢٤) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ص/٤٤٢ .

أثر القرآن الكريم والحديث الشريف في اللغة العربية وآدابها

بقلم : الباحث مخلص الرحمن *

مما ريب فيه أن القرآن الكريم والحديث الشريف مصدران أساسيان في الإسلام اللذان استقرا في قلوب أتباعه ، وأخذا المكان الأول في أذهانهم ، وغيرا تيار حياتهم ، وزوداهم بالقيم الروحية والعقلية والاجتماعية والإنسانية ، وحرضاهم على العمل طبق ما تقتضيه تعاليم الإسلام السمحاء ، وقد نهى الدين الإسلامي عن كل ما يفسد الأخلاق من التفاضل بالعصبية والتفاخر بالأنساب. وبعد أن كان همّ عرب الجاهلية إذا اجتمعوا في ناد أو سوق إنشاد الأشعار والتفاخر والتفاضل ، أصبح همّهم القرآن الكريم والسنة النبوية والتحلي بتعاليمهما ، فلا بد لهذا التعليم الإسلامي السامي أن يعكس صداه في الأصناف الأدبية شعراً ونثراً ، مبنى ومعنى ، لأن النتاج الأدبي يتفاعل مع البيئة والمحيط ويتأثر بمؤثراتها. فظهرت فنون جديدة وتطورت بعض فنون قديمة .

القرآن الكريم :

هوكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، نزل به الروح الأمين على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم منجما مقسطاً ، وهو معجزة الإسلام الكبرى ، إذ لم يبلغ أي كتاب ديني أو دنيوي ما بلغه من روعة البيان والبلاغة ومسّ المشاعر وأسر القلوب ، سواء حين يتحدث عن عظمة الله وجلاله أو حين يشرّع للناس ما به صلاح معاشهم وآخرتهم أو يصور لهم الثواب والعقاب والفردوس والجحيم ، أو يقص عليهم من أنباء الرسل والأولين ما فيه عبرة ومزدجر للمؤمنين (١) .

والقرآن أول كتاب دوّن في اللغة العربية ؛ فدراسته لازمة لتاريخ الأدب ؛ لأنه مظهر الحياة العقلية والحياة الأدبية عند العرب في أواخر القرن

* جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي (الهند) .

(١) الدكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص/٤٤ .

السادس و أوائل القرن السابع للمسيح ، وهو واضع النثر الفني ومنبع المعاني والأساليب والمعارف التي شاعت في أدب ذلك العصر ، نزل بأسلوب بديع لا عهد للآذان ولا للأذهان بمثله ؛ فلا هو موزون مقفى ، ولا هو سجع يتجزأ فيه المعنى في عدد من الفقر ، ولا هو مرسل يطّرد أسلوبه دون تقطيع ولا تسجيع ؛ إنما هو آيات مفصلة متزاوجة يسكت عندها الصوت ويسكن الذهن لاستقلالها بالمعنى وانسجامها مع روح القارئ ووجدانه. فلما سمعه العرب وهم زعماء القريض وأمراء البيان أكبروه وأنكروه ، وعجزوا عن أن يردوه إلى نوع من أنواع الكلام المعروفة ؛ فقالوا مضطرين : إنه شعر شاعر أو فعل ساحر أو سجع كاهن. ووصفهم إياه بأنه نوع من هذه الأنواع التي تشترك في فتنة العقل دليل على فعله القوي في نفوسهم (٢) .

الحديث الشريف :

هوالأصل الثاني للإسلام ويشمل كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير (وقد ضُمّ إلى الحديث ماورد عن الصحابة) ، وترجع أهميته إلى أنه يتمم القرآن في بيان أحكام الشريعة الإسلامية ، فالصلاة مثلا ذكرت في القرآن مجملة ، فبين الحديث كيفيتها وأوقاتها ، وكذلك الشأن في الزكاة ، فإن الحديث هو الذي بين قواعدها التي يجب اتباعها في جمعها وتوزيعها ، وهناك آيات في القرآن يحتمل وجوها مختلفة من المعاني ، والحديث هو الذي يشرح المراد منها. وهذا إلى كثير من شؤون الدين التي يستقل الحديث ببيانها. ومنذ عصر الرسول يهتم المسلمون بالحديث عملا بقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (سورة الأحزاب الآية/٢١) فكانوا يأتمون به كما كانوا يأتمون بالقرآن الكريم وما شرع لهم. يدل على ذلك أكبر الدلالة ما يروى من أن الرسول حين أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن سأله : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال :فإن لم تجد ؟ قال :بسنة رسوله ، فرواية الحديث كانت معروفة في حياة الرسول ، وكانت كل قبيلة تأخذ معها معلما يعلمها القرآن والسنة النبوية ، وكثيراما كان يعقب الرسول على أحاديثه وخطبه بقوله : "ألا قليبلغ الشاهد منكم الغائب" ، ولما توفي الرسول ، ودخل الموالي في الإسلام أخذوا يحاولون معرفة كل شأن من شؤون الرسول

(٢) أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، ص/٨٦ .

ليقتدوا به ، ولم يكن العرب يقلون عنهم شغفا بتلك السيرة العطرة (٣) .

فقد كان للحديث أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي ، فقد أقبل الناس عليه يتدارسونه إقبالا عظيما ، وكانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه ، وكل علماء الصحابة والتابعين كانت شهرته العلمية مؤسسة على التفسير والحديث. وسبّب حرص الناس على رواية الحديث رحلة العلماء إلى أقاصي المملكة وطوافهم في البلدان يأخذ بعضهم عن بعض ، فكان من ذلك تبادل الآراء العلمية ، ووقوف علماء كل مصرعلى ما عند الآخرين حتى لتكاد الحركة العلمية تُوحّد (٤) .

أثر القرآن والحديث في النثر :

لم يكن للنثر في الجاهلية ما كان للشعر من شأن ومكانة ، ولكن لما ظهر الإسلام واتسع نطاق الحكم تعقدت مصالح الدولة ، وأصبح النثر وسيلة التعبير في العلاقات القائمة بين الحكام والمحكومين ، والرؤساء والمرؤوسين ، ولذلك تلوّن بجميع ألوان الحياة الجديدة فكان خطابة ، وكان كتابة ، وكان رسائل وعهوداً كما كان أخيرا قصصا ومناظراتٍ وتوقيعات. والجدير بالذكر أن هذا الأدب النثري كان في مرحلته الإسلامية الأولى ، ربيب الخلفاء والأمراء والولاة يستعملونه لإحكام ما بينهم وبين الناس من صلات ، وكان في أسلوبه التعبيري امتداد للنثر الجاهلي واحتذاء للقرآن ، ينبت على أصالة عربية في نزعة إيجازية وتوجيه اجتماعي. فصل ذلك الدكتور شكري فيصل بطريقة قيمة ، قال : "كان الأدب العربي في هذه الفترة أدبا مطبوعا لا تصنع فيه ولا تكلف معه" (٥) .

ومن بين الأنواع النثرية ، ازدهرت الخطابة في العصرالإسلامي ازدهارا شديدا لتوافر عواملها وشدة الحاجة إليها ؛ فالعهد عهد صراع فكري ثم صراع سياسي ؛ والوفود إلى النبي العربي تتبع الوفود ؛ وميادين القتال تتسع للفتوح اتساعا كبيرا ؛ وما هناك غير الخطابة للوصول إلى العقول ، وما هنالك غير اللسان في الجماهير يقرع الحجة بالحجة ، ويصدع الأسماع بالآراء والبراهين (٦) .

(٣) الدكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص/٤٨ .
(٤) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص/٢٢٣ .
(٥) حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ، ص/٣٢٢ .
(٦) المصدر السابق : ص/٣٢٥ – ٣٢٦ .

والفرق بين الخطابة في الجاهلية وفي الإسلام أن الإسلام زادها بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من تقليد أسلوب القرآن واقتباس الآيات القرآنية. وقد كان للقرآن نحو هذا التأثير في الشعر أيضا ، ولكن الخطابة أوسع مجالا للاقتباس ، فأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات القرآنية تمثلا أو إشارة أو تهديداً حتى صاروا يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات ، كما فعل مصعب بن عمير لما قدم العراق وأرادأن يحرض أهله على الطاعة لأخيه عبد الله ، فصعد المنبر وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طسم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (وأشار بيده نحو الشام) ، ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ، (وأشار بيده نحوالحجاز) ، ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (سورة القصص الآيات/١ – ٦) (وأشار بيده نحوالعراق)"(٧) .

وكانت الخطابة الإسلامية خطابة دين جديد يتوجه إلى العقل والقلب ويعمل على إيقاظ الوجدان البشري ، إنها خطابة دينية في صميمها ، توضح الآيات وتأتي بالبينات ، وهي في الوقت نفسه خطابة دفاعية تدحض آراءه الخصوم ، وترد على كل معاند ومكابر ... وكانت الخطابة الإسلامية خطابة عقيدة وانفتاح ، حفلت بالتقوى والنزعة الإنسانية ، وقد تضمنت روحا تنظيمية تشريعية واتسمت بسمة البلاغة الحقة التي أضفاها عليها القرآن ، واكتسبت من الفلسفة الدينية الجديدة عمقا وسموا ... وإلى جانب هذا كله ظهرت خطابة سياسية تجمع شمل العرب في ظل النظام الجديد ، وخطابة الاستخلاف والولاية عند مبايعة خليفة أو تولية والٍ أو عامل تستهدف تخطيط سياسة أو تسكين فتنة أو ما إلى ذلك (٨) .

بلغت الخطابة عند العرب مبلغا قلّما سبقهم فيه أحد من الأمم التي تقدمتهم بلاغة وإيقاعا وتأثيرا حتى اليونان والرومان ، ولا ننكر ما كان

(٧) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج/١ ، ص/١٩١ – ١٩٢ .

(٨) حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ، ص/ :٣٣٧ – ٣٣٨ .

من تفوق هاتين الأمتين في الخطابة وما نبغ بين رجالهما من الخطباء الذين لا يشق لهم غبار : كديموستنيس ، وبروتاجوراس ، وبرسكليس ، من خطباء اليونان ، وشيشرون ، ويوليوس قيصر ، من خطباء الرومان ، ولكن العرب لم يأتوا بأقل مما أتى به أولئك بلاغة ووقعاً ، ربما كان الخطباء في الإسلام أكثر عدداً وخطبهم أوفر وأبلغ مع اعتبار الفرق بين الأمتين لغة وخلقا وأدبا (٩) ، لأن الخطباء من الإسلام كانوا يتحلون بالتعاليم السامية والسمات العالية من القرآن والسنة اللذين أثرا في أفئدتهم وألسنتهم وكسبت بهما لغتهم عذوبة في اللفظ ، ورقة في التركيب ، وقوة في المنطق ، ودقة في الأداء ، وثروة في المعاني ، ووسّعا دائرة اللغة باستحداث الألفاظ كالصوم والصلاة والزكاة ، واقتضاء العلوم الجديدة النحو والصرف وما إلى ذلك .

أثر القرآن والحديث في الشعر :

عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كان في مكة عدد من الشعراء ، وبعد هجرته إلى المدينة تطاول شعراء مكة على الرسول والمسلمين فاضطر شعراء الأنصار إلى الدفاع عن الإسلام مثل حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، أما الشعراء الذين دخلوا في الإسلام من غير شعراء مكة والمدينة فقد قل شعرهم أو توقف ، ومن هؤلاء لبيد بن ربيعة العامري وكعب بن زهير ... وفتور الشعر بعد فتح مكة يعود إلى ورع الشعراء وعدم إطلاق العنان لألسنتهم ، لأن الإسلام نفر من الشعر السيئ ، ولكنه لم يحرم الشعر كما ورد في القرآن : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء الآيات/٢٢٤ – ٢٢٧) ، وورد في الحديث "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا" ، فالحديث ينفر من الشعر السيئ ولا يحرمه بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم : "إن من الشعر حكمة" و قوله صلى الله عليه وسلم "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيئ ما خلا الله باطل" (١٠) .

كانت توجد في الشعرالإسلامي أغراض تقليدية من المدح والهجاء

(٩) جرجي زيدان : تاريخ اللغة العربية ، ج/١ ، ص/١٩٢ .

(١٠) الدكتور عبد العزيز بن محمد الفيصل : الأدب العربي وتاريخه ، ص/١٨٨ – ١٨٩ .

والحماسة والرثاء ، ولكنها كانت ملتزمة في ألفاظها ومعانيها بتعاليم القرآن والسنة ، ومسخرة لخدمة العقيدة الإسلامية ، مثلا يهدف المدح في هذا العصر إلى الإشادة بالإسلام ورسول الإسلام ، فليس هدف المادح طلب المال والجاه كما كان يفعل الجاهليون ، وإنما هدفه رفع راية الإسلام والدعاية له حتى يدخل العرب فيه ، وخير ما يمثل ذلك قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

يا هاشم الخير إن الله فضّلكم على البرية فضلا ما له غير(١١)

أما الشعر من حيث المبنى والمعنى فقد اختفت منه الألفاظ والمعاني الجاهلية التي لا تتفق وتعاليم الإسلام وخاصة ما يتعلق منها بالعصبية والغزل والخمر ، كما أن ألفاظ الشعرالإسلامي لم تكن معقدة كما هو الحال في الشعر الجاهلي ، ولذلك ابتعدت معاني وألفاظ الشعرالإسلامي عن الصعوبة والوعورة والخشونة الجاهلية (١٢) حيث أخذوا معظم معانيهم من القرآن الكريم والحديث الشريف ، فحسان رضي الله عنه أخذ معنى الأية الكريمة :﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة التوبة الآية/١٢٨) ، وجعله في هذا البيت :

عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى
حريص على أن يستقيموا ويهتدوا (١٣)

ومعاني الشعرالإسلامي تعبر عن تقوى الله ، وتنبئ عن الورع ، وتبتعد عن المبالغة والكذب ورمي المحصنات ، والفخر الكاذب الذي يحمل السباب والفحش ، والغزل الذي يحمل المجون ويدعو إلى الفسق ، فمعاني الشعر الإسلامي لا تخرج عما ورد في القرآن والحديث بخلاف الشعر الجاهلي الذي لا يقف عند حدود معينة ولا يلتزم بفكر محدد (١٤) .

أما الأسلوب في العصر الإسلامي فإنه لم يكن بنفس القوة التي كان عليها أسلوب الشعر الجاهلي ، وذلك لأن الشاعرالإسلامي كان عليه أن يختار لفظه ومعناه وفق تعاليم الإسلام بينما هو في الجاهلية يختار ما يحلو له

(١١) المصدر السابق ، ص/١٩٠ .

(١٢) معاذ السرطاوي : دراسات في الأدب العربي ، ص/١٧ .

(١٣) الدكتور عبد العزيز الفيصل : الأدب العربي وتاريخه ، ص/١٩٦ .

(١٤) المصدر السابق ، ص/١٩٦ – ١٩٨ .

ويقول الشعر على سليقته دون قيود وموانع (١٥) ، فأسلوب الشعر الإسلامي كان متأثراً بأسلوب القرآن وأسلوب الحديث ، وبعيداً عن الصنعة ، وقريبا من الحديث العادي ، فهو خال من التكلف في معظمه ، ويقال على البديهة استجابة للموقف الذي يتطلبه ، وخير شاهد على ذلك قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير مع رسوله

وقول كعب بن مالك رضي الله عنه :

عجبت من أمر الله والله قادر على ما أراد وليس لله قاهر (١٦)

جملة القول : أن الأدب العربي مع نوعيه – شعرا ونثرا – تأثر بأسلوب القرآن والحديث ، وتحلى بالتعاليم الإسلامية السمحاء ، واتسم بسمات دينية ، فتغير تياره تغيرا ملموسا ، ويتجلى هذا الأثر من النواحي كلها ؛ من حيث المبنى والمعنى ، والأسلوب والعاطفة ، والأغراض والأهداف وما إلى ذلك .

المراجع والمصادر :

١- أحمد أمين :فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط/١٠ ، ١٩٦٩م .

٢- أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، دار نهجة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

٣- الدكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دارالمعارف ، ١٩٦٠م .
الدكتور عبد العزيز بن محمد الفيصل : الأدب العربي وتاريخه ، الجامعة الإسلامية ، ١٤٢٠ من الهجرة .

٤- جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج/١ ، مؤسسة دارالهلال .

٥- حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ، دارالجيل ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٦م .

٦- معاذ السرطاوي : دراسات في الأدب العربي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٨م .

(١٥) معاذ السرطاوي : دراسات في الأدب العربي ، ص/١٧ .

(١٦) الدكتور عبد العزيز بن محمد الفيصل : الأدب العربي وتاريخه ، ص/١٩٨ – ١٩٩ .

❖❖❖

صور وأوضـــاع :

العالم الإسلامي عالم الأزمات

الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي

من فضل الله تعالى على المسلمين ، أنهم يملكون أخصب الأراضي في العالم ، وأهم المواقع جغرافياً ، ودينا قيماً ، وعقيدة موحدة ، وشريعة تشمل الحياة كلها ، وجعلهم الله خير أمة أخرجت للناس؛ تفرق بين المنكر والمعروف ، وأُمِرت بتحكيم الشريعة في أمور الحياة كلها ، وجعل تحكيم الشريعة ، وحلّ القضايا في ضوء تعاليمها شرطاً للإيمان.﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء الآية/٦٥) .

فالقرآن والسنة مصدران رئيسيان لمعرفة أحكام الشريعة ، والأوامر والنواهي ، وحلّ قضايا الحياة في ضوئهما ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ﴾ .

وفوق ذلك وهب الله المسلمين قوة هائلة تغنيهم ، وتتكفل مطالب حياتهم ، وهي طاقة بشرية لها تاريخ في البطولة والشجاعة ، والصبر وتحمُّل الأذى ، وبذل النفس والنفيس ، والفداء في سبيل الخير والشرف ، والإباء والشهامة ، ويشهد التاريخ بذلك؛ فقد سيطر المسلمون بفضل هذه الخصائص والمميزات على مساحة شاسعة من المعمورة ، وحكموا بالعدل ، وعاشت الأمم في ظل سيادتهم بعزة وكرامة ، ودام هذا العهد عهد غلبة المسلمين وسيادتهم ألف سنة ، قاوموا فيها الحملات الصليبية والتتارية ، وواجهوا أزمات وتحديات فكرية وسياسية وعسكرية وعقدية ، وخرجوا منها منتصرين بقيادة وإرشاد المصلحين المفكرين والقادة العسكريين الغيارى على دينهم .

وكانت للمسلمين هيبة ورعب في النفوس حتى في أصعب الظروف وأخطرها ، وكانت لهم عزة وكرامة .

وجاء عهد الاستعمار الغربي ، وسيطر على معظم بلدان المسلمين ، وفرض نظامه التعليمي والتربوي الذي كان مقصده إخراج شرف الانتساب

إلى الإسلام والاعتزاز بتعاليمه ، والثقة بوعد الله ونصرته ، والاعتماد على مصادر الشريعة ، والاعتزاز بتاريخ الإسلام المجيد ، وبثّ الشكوك والشبهات في المصادر ، وتحريف التاريخ الإسلامي ، والشخصية الإسلامية ، وتصوير الإسلام كمصدر عنف وإرهاب وظلم بفرض تاريخ مزور ، وساد هذا النظام في عهد الاستعمار ، وسخرت به نفوس الأذكياء والصلاحيات والكفاءات التي تتولى القيادة والريادة في المستقبل ، وتشهد بذلك وصايا وتعليمات المعلمين الذين كانوا مبشرين في العصر الأول من غزو أوربا الفكري الذي بدأ بانتشار المدارس التبشيرية في العالم الإسلامي .

وكانت مصر أول فريسة لهذا الغزو ، وأكثر تأثراً بذلك ؛ لأن الاستعمار ركز على مصر ؛ لأنها كانت كنانة الإسلام ، وقلعة الإسلام ، وقد واجهت مصر الحملات الصليبية ، وانتصرت فيها حتى اضطر "نيبولين" إلى الخروج من مصر .

كان هدف الاستعمار أن يخرج جيل من المتعلمين المسلمين من أهل الكفاءات، لهم أسماء إسلامية ولكن اتجاهاتهم معادية للإسلام ، وقد أشار إليه الشيخ أبو الحسن الندوي فيقول : " رجع أكثر هؤلاء الشباب المسلمين (الذين تعلموا في أوربا) طليعة الفكر الغربي ، ودعاة متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية وقيمها ومفاهيمها وتصوراتها ، وقد صور "اللورد كرومر الذي كان أكبر رائد إلى تغريب مصر ، الجيل المصري الجديد الذي نشأ في أحضان التعليم الجديد ، وآمن بسيادة الغرب وفضل حضارته ومبادئه تصويراً صادقاً دقيقاً ،فيقول :

"إن المجتمع المصري في مرحلة الانتقال والتطور السريع ، وكانت نتيجته الطبيعية أن وجدت جماعة من أفرادهم "مسلمون" ولكنهم متجردون عن العقيدة الإسلامية ، والخصائص الإسلامية ، وإن كانوا "غربيين" فإنهم لا يحملون القوة المعنوية ، والثقة بأنفسهم ، وإن المصري الذي خضع للتأثير الغربي ، فإنه وإن كان يحمل الاسم الإسلامي ، لكنه في الحقيقة ملحد وارتيابي ، والفجوة بينه وبين عالم أزهري لا تقل عن الفجوة بين عالم أزهري وبين أوروبي" .

وظهرت آثار ذلك في كتابات أدباء مصر وكتابها؛ الذين دعوا دعوة سافرة إلى تقليد الحضارة الغربية ، واتخاذها مثلاً أعلى في الحضارة والاجتماع ، وكانت مصر تزداد انطباعاً بالحضارة الغربية في كل يوم ،

وتتجه إلى الغرب اتجاهاً مستمراً ، حتى كادت تصبح في الطبقة المثقفة والأرستقراطية صورة من الحياة الغربية ، ويصور تأثير هذا النظام التعليمي الكاتبُ المصريُ المعروفُ الدكتور طه حسين ، كما يصور بلده تصويراً غريباً ، ويقول في كتابه المشهور : "مستقبل الثقافة في مصر" :

"حياتنا المادية أوروبية خالصة في الطبقات الراقية ، وهي في الطبقات الأخرى تختلف قرباً وبعداً من الحياة الأوروبية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات وحظوتهم من الثروة وسعة ذات اليد ، ومعنى هذا أن المثل الأعلى للمصري في حياته المادية ، إنما هو المثل الأعلى للأوروبي في حياته المادية" .

"وحياتنا المعنوية على اختلاف مظاهرها وألوانها أوروبية خالصة ، نظام الحكم عندنا أوروبي خالص ، نقلناه عن الأوروبيين نقلاً في غير تحرُّج ولا تردُّد ، وإذا عبنا أنفسنا بشيء من هذه الناحية ، فإنما نعيبها بالإبطاء في نقل ما عند الأوروبيين من نظم الحكم وأشكال الحياة السياسية" .

"والتعليم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه ، وضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوروبي الخالص ، ما في ذلك شك ولا نزاع نحن نكوِّن أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكويناً أوروبياً لا تشوبه شائبة" .

ويقول :

"إن من السخف الذي ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين" .

وعلى هذا الأساس يدعو الدكتور طه حسين المصريين إلى اختيار الحضارة الغربية حضارة لهم ، ومشاركة الغربيين في جميع مناهجهم ومقاييسهم وأذواقهم وأحكامهم ، فيقول :

"أن نسير سيرة الأوروبيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب" .

"وأن نشعر الأوروبي بأننا نرى الأشياء كما يراها ، ونقوم الأشياء كما يقومها ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها" .

لما خرج الاستعمار تولى الحكم في العالم الإسلامي رجال نشأوا في ظل هذا النظام التربوي ، ولم تنشرح قلوبهم للإسلام رغم كونهم من المسلمين فاستبقوا سائر النظام الذي ورثوه ، وبوساطتهم بقي حكم الدول الغربية

وخاصة الدول المستعمرة على البلاد ، وفرضت على البلاد سياسة قهر وجبر رغم الاستقلال ، كما حدث في الجزائر التي قدمت أغلى النفوس ، وقاد حركة التحرير العلماء المجاهدون ، وعرفت ببلد مليون شهيد ، وخرج جيش فرنسا مكرهاً ، ولكن فرض على البلاد حكم اشتراكي ، وورث الحكم من كان معادياً لدين الشعب الجزائري وطبيعته .

وحدث ذلك في تونس حيث فرض حكم عسكري مغاير لرغبات الشعب المسلم ، وهكذا في الدول الأخرى ، فكانت النتيجة أن حدث صراع بين الشعب والحكام ، ولا يزال مثل هذا الوضع قائماً .

وآخر مثال لذلك ما حدث في دول الثورة العربية حيث قدمت الشعوب تضحيات للتخلص من حكم العسكريين ، وكان في الدوافع إلى ذلك ، قيامُ حكم شعبي إسلامي ، ولكن لم تتحقق هذه الرغبات ، بل أعيدت عقارب الساعة إلى الوراء ، فيستمر الصراع ، وتحدث خسائر في الأرواح والممتلكات ، رغم مرور مدة على حدوث هذه الثورات .

إن التعبير الصحيح لهذا الوضع هو فرض حكم الأقلية الغربية على الأغلبية الوطنية ، وهذا الوضع هو سبب الأزمات في العالم الإسلامي ، ولا نهاية لهذا الوضع إلا عودة الوضع الطبيعي ، وهو تولي ممثلي الأغلبية المسلمة الحكم ، ولا يتحقق ذلك إلا بتغيير نظام التعليم والتربية في البلاد الإسلامية كلها ، وتطبيق نظام يتطابق مع متطلبات الشعب المسلم ورغباته وعقائده ، وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي فيقول :

"حل المشكلة - مهما تعقد وطال واحتاج إلى الصبر والمثابرة - ليس إلا أن يصاغ هذا النظام التعليمي صوغاً جديداً ، ويلائم بعقائد الأمة المسلمة ، ومقومات حياتها ، وأهدافها ، وحاجاتها ، ويخرج من جميع مواده روح المادية ، والتمرُّد على الله ، والثورة على القيم الخلقية والروحية ، وعبادة الجسم والمادة ، وينفخ فيه روح التقوى والإنابة إلى الله ، وتقدير الآخرة ، والعطف على الإنسانية كلها" .

ويقول :

"ولا سبيل إلى التخلُّص من هذا الوضع غير الطبيعي ، وغير الضروري ، إلا قلب هذه الأوضاع التعليمية رأساً على عقب ، وصياغتها صياغة جذرية جديدة ، وهي قضية العالم الإسلامي الكبرى ، وضرورته القصوى ، ونداء الوقت ، وفريضة الساعة" .

من كنوز القرآن الكريم :

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي

(تفسير القرآن بالقرآن)

(آل عمران : ١ - ٦٤)

جمع وترتيب : محمد فرمان الندوي

إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ، والله عزيز ذو انتقام :

قال الله تعالى : ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ (سورة الزخرف الآية/٤١) وقال : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة الزخرف الآية/٥٥) وقال : ﴿قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ❖ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (سورة الزخرف الآيتان/٢٤ - ٢٥) وقال : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ (سورة الدخان الآية/١٦) وقال : ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ (سورة الزمر الآية/٣٧) وقال : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الروم الآية/٤٧) .

الانتقام : هو أخذ الحق من الظالم للمظلوم .

إن الله لا يخفى عليه شيئ في الأرض ولا في السماء :

هو حق ، لأنه أنزله من لا يخفى عليه شيئ ، وهو الذي صوركم في الأرحام .

هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات وآخر متشابهات :

قال الله تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (سورة هود الآية/١) وقال : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ❖ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ❖ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ❖ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (سورة محمد الآيات/٢٠ - ٢٣) وقال الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي

ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأنعام الآية/٩٩) وقال : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (سورة الزمر الآية/٢٣) .

فأما الذين في قلوبهم زيغ :

قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ❖ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ❖ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة يونس الآية/٣٦) .

وقال : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة يوسف الآية/١٠٠) وقال : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية/٥٣) .

وقال : ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً﴾ (سورة الكهف الآية/٨٧) .

ابتغاء تأويله :

قال العلامة رحمه الله : ابتغاء التأويل الباطل ، مع بعض الهداية ، بغير نوع من الكفر .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا :

قال الله تعالى : ﴿رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة المؤمنون الآية/٩٤) ، وكلمة تزغ مشتقة من الزيغ .

جامع الناس ليوم لا ريب فيه :

القيامة هي من أكثر الآيات تشابهاً .

إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم :

حب الأموال والأولاد ، سبب الكفر والمعاصي .

كدأب آل فرعون :

قال الله تعالى : ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ❖ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ

مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ❖ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (سورة الأنفال الآيات/٥٢ – ٥٤) .

قد كان لكم آية في فئتين التقتا :

تمثيل لشفاعة العمل .

والله يؤيد بنصره من يشاء :

المعاونات من الحق .

للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار :

قال الله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة الآية/٧٢) .

إن الدين عند الله الإسلام :

وقال الله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (سورة الشورى الآية/١٣) .

وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ❖ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأنعام الآيات/١٦١ – ١٦٣) .

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ❖ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ❖ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (سورة النساء الآيات/٦١ – ٦٣) .

فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه :

أي جامع الناس .

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء :

أنا أحب الله .

تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل :

هي الهداية والظلمة .

وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي :

هما العلم والجهل .

لا يتخذ المؤمنون الكافرين :

قال الله تعالى : ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ❖ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (سورة النساء الآيتان/١٣٨ – ١٣٩) .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة المائدة الآية/٥١) .

هنا نكتة التعليل بالكذب في موالاتهم .

يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً :

قال تعالى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة البقرة الآية/١١٠) .

كلما دخل عليها زكريا المحراب :

قال تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ (سورة آل عمران الآية/٣٩) .

وقال الله تعالى : ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (سورة مريم الآية/٧) .

قال رب أنى يكون لي غلام ، وقد بلغني الكبر :

قال الله تعالى : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ❖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (سورة الأنبياء الآيتان/٨٩ – ٩٠) .

قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً :

قال الله تعالى : ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ❖ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (سورة مريم ، الآيتان/١٠ – ١١) .

ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك :

قال الله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة القصص الآية/٤٦) .

قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر :

قال الله تعالى : ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ

أَكَ بَغِيًّا ❖ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ (سورة مريم الآيتان/٢٠ – ٢١) .

ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل :

قال الله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة المائدة الآية/١١٠) .

اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة :

قال الله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (سورة النساء الآية/١٧١) .

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (سورة الصف الآية/١٤) .

ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة الأنفال الآية/٣٠) .

وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك :

قال الله تعالى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ❖ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء الآيتان/١٥٧ – ١٥٨) .

ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئا :

قال الله تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة التوبة الآية/٣١) .

أخبار علمية واجتماعية :

رابطة الأدب الإسلامي العالمية تعقد ندوتها الـ ٣٣

في جامعة كاشف العلوم بمدينة أورنغ آباد بولاية مهاراشتر (الهند)

قلم التحرير

في الفترة ما بين ٢٩ – ٣٠ نوفمبر وأول ديسمبر عام ٢٠١٣م عقدت رابطة الأدب الإسلامي العالمية ندوتها العلمية الـ ٣٣ في مدينة أورنغ آباد (الهند) باستضافة جامعة كاشف العلوم حول عنوان (مشكلات الأمة الإسلامية وقضاياها ، في شعر العلامة شبلي النعماني والشعراء المعاصرين) ، انعقدت الجلسة الأولى مساء يوم الجمعة في القاعة السعيدية الواسعة للجامعة برئاسة سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام ، ورئيس الرابطة العالمية للقارة الهندية ، ودول جنوب شرق آسيا ، ألقى فيها كلمة ضافية عن هذه الندوة الـ ٣٣ ، وعن الموضوع المحوري الذي يدور حول مشكلات الأمة وقضاياها في الشعر الأردي الذي يعتبر أحد رواده العلامة شبلي النعماني ، صاحب السيرة النبوية ورئيس أكاديمية شبلي التي كان مؤسسها الأول للبحث والتحقيق في موضوعات علمية وتاريخية ، والتي كانت صلتها بندوة العلماء وطيدة ، ورأسها العلامة السيد سليمان الندوي بعده فازدهرت في عهده وهو الذي تم على يده تأليف السيرة النبوية التي كان قد بدأها العلامة النعماني ، وأصدر مجلدين منها ، ثم تمّ إصدار خمسة مجلدات بعدهما فاحتوت على سبعة مجلدات ، لها مكانتها الجليلة في المكتبة الإسلامية العالمية .

حضر الندوة أصحاب الدراسات العلمية وأساتذة الجامعات الإسلامية والعصرية ، ومندوبو المراكز والمدارس الإسلامية بعدد وجيه ، وشاركوا الجلسة الافتتاحية بمقالاتهم وكلماتهم الانطباعية ، وقد أشادوا بالجهود العلمية والأدبية التي تبذلها رابطة الأدب الإسلامي العالمية وأعضاؤها الأساسيون ، وتفاءلوا بالندوة التي تعقد في هذه الجامعة للمرة الخامسة على دعوة من رئيسها فضيلة الشيخ محمد رياض الدين الندوي الفاروقي وأعضائها من الأساتذة والعاملين معه في النشاط العلمي والأدبي .

وفي اليوم التالي صباح يوم السبت عقدت الجلسة الأولى بعد الجلسة الافتتاحية في القاعة نفسها رأسها كاتب هذه السطور ، وكان عدد المساهمين من أصحاب المقالات والبحوث فيها أكثر من عشرة مندوبين ، وانتهت هذه الجلسة في الساعة الحادية عشرة كانت معها فترة لتناول الإفطار الخفيف والشأي ، ثم بدأت الجلسة الثانية برئاسة سعادة الأستاذ الدكتور سعود عالم رئيس القسم

الديني بجامعة عليكراه الإسلامية ، وبعدها برئاسة الأستاذ الدكتور محسن العثماني الندوي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إيفل حيدر آباد سابقاً .

واستمرت الجلسات الأدبية والعلمية مساء السبت وصباح يوم الأحد كذلك ، فكان عدد المقالات التي ألقيت حول الموضوع أكثر من ستين مقالاً .

مساء يوم الأحد أول ديسمبر ٢٠١٣م عقدت الجامعة حفلة عامة بعنوان إصلاح المجتمع ترأسها سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، ألقى فيها العلماء والدعاة خطابات إلى الحفل الكريم ، وذلك في مسجد الجامعة الذي كان مغتصا بالمستمعين ، ومن الخطباء فضيلة الشيخ السيد محمد بلال الحسني الندوي سكرتير دار عرفات في دارة الشيخ علم الله في راي بريلي وكاتب هذه السطور ، وفضيلة الشيخ محمد خالد الندوي أستاذ الحديث بدار العلوم لندوة العلماء ، وفي الأخير تفضل سعادة رئيس الحفلة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، فكانت كلمته مسك ختام للحفلة التي انتهت بدعائه الكريم ، والحمد لله أولاً وآخراً .

وفي ضمن هذه الندوة انتهزت مدرسة فيض العلوم ببلدة جالنه فرصة وجود علماء وأدباء ، فوجه المسئول الأول عنها المحامي عبد المجيد وفضيلة الشيخ محمد خالد الندوي رئيس المدرسة دعوة إليّ للحضور وزيارة المدرسة وإلقاء كلمة للتوجيه الديني في الحفلة السنوية الأدبية والتعليمية للمدرسة ، وذلك بمسجد جالنه الكبير المعروف بمسجد الفيصل ، فكان كاتب هذه السطور ضمن المدعووين إلى الحفلة ، وقد وفق إلى إلقاء خطاب ديني في ضوء الكتاب والسنة ، استمر إلى ساعة وربع ، وقد استمع إليه الحفل الكريم بغاية من الاهتمام والإصغاء .

إلى رحمة الله تعالى :

حرم سعادة الأستاذ نذر الحفيظ الندوي الأزهري إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بحرم سعادة الأستاذ الشيخ نذر الحفيظ الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم ندوة العلماء ، ليلة الاثنين اليوم الثاني من شهر ديسمبر ٢٠١٣م ، الموافق ٢٧/من شهر محرم لعام ١٤٣٥هـ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة نموذجاً لحياة مسلمة صادقة ، لها يد طولى في تربية الأولاد وبناء الأسرة على الخلال الإسلامية ، وقد عاشت مع زوجها الكريم حياة وفاء ويمن وخير وتقى ، ساعدته في إنجاز مهماته وأداء مسئولياته ، وقد خلفت وراءها أسرة حافلة بالأولاد والأحفاد ، وذكريات طيبة للجميع من أعضاء الأسرة ، صلى عليها صاحبها سعادة الأستاذ نذر الحفيظ الندوي الأزهري بعد صلاة العصر يوم ذاك في ساحة دار العلوم مع حشد من الأساتذة والطلاب والأقارب .

تغمدها الله تعالى بواسع رحمته وغفر لها زلاتها وأسكنها فسيح جناته ، وألهم أهلها وذويها الصبر على المصاب ، فإنه المولى العزيز الغفور الكريم .

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٢٧٨٧٧١٠- ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥٨/عاماً بالاستمرار ، والمجلة الآن في عامها التاسع والخمسين ، ونرجو الله سبحانه أن يوفر لها جميع الوسائل اللازمة ، ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين فيها باستمرارية تامة .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفه باهظة ، ولا سيما بعد تضاعف أجرة البريد وأسعار الطباعة والورق والترصيف ، فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم :

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ندوة العلماء – لكناؤ ٠٤- ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)